الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة العربي بن مهيدي

أم البواقي

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مسار:ماستر

تخصص أدب حديث

صورة الوطن في شعر السجون
محمود درويش أنموذجا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في ميدان اللغة العربية والأدب العربي مسار:أدب حديث

من إعداد الطالبة:

بوسعيد حليمة

إشراف الأستاذة:

بروش حسناء

السنة الدراسية:2015/2014

شكر وعرفان

قبل البدء شيء من البدء

الحمد لله الذي أعانني على خطّ آخر حرف هي هذه المذكرة

فلولا إعانته عزّ وجلّ لما تمكّنت من إنهائها

أمّا بعد:

أتقدّم بالشّكر الجزيل إلى الاستاذة الفاضلة "بروش حسناء "التي منحتني

من وقتها وجهدا الكثير وشرّفتني بقبولها على الإشراف على هذه المذكّرة.

كما أشكر كلّ من ساعدني من قريب أو من بعيد بداية من أساتذتي

المحترمين

وختاما

أشكر كلّ من ساعدني ولو بالقليل

مقدمة

مقدمــة :

منذ بدء الخليقة والوطن هو الأمّ التي ينتمي الانسان الى احضانها منذ اللحظات الاولى التي يطلق فيها صرخة الحياة، ومهما كانت طبيعة هذه الام اووضعها وجب على ابنائها تحملها بكل الفجائع والاهوال التي تصيبها. وقد انتقل الشغف بالوطن من مجرد انطباع شخصي لفرد يغار على حريته وشرفه ، الى قضية ادبية تدرس وتناقش بطريقة فنية انطلاقا من معايير واسس يضعها الدارس في بحثه.

ولم يتوقف هاجس الوطنية والقومية عند حدود معينة، بل انه اخترق حتى جدران السجون الكثيفة ليثير كوامن الوجدان ويحرك سواكن الاشجان. ورغم ان شعر السجون هو ظاهرة وجدت في الادب العربي منذ القديم، الاّ انها بلغت ذروة الانتشار في العصر الحديث، خاصة وانها ارتبطت بالواقع السياسي المتوتر الذي تعيشه الامة العربية حيث كانت السياسة–وستظل– الدافع الاول الذي ادى الى الزج بالكثير من الشعراء في غياهب المعتقلات والسجون.

ولكن دواعي السجن وظروفه تختلف من سجين الى آخر كل حسب الموقف الذي يتخذه، وقد خصصت بحثي هذا لدراسة صور الوطن في شعر السجون ، وقد خصصت بالدراسة الشاعر الفلسطيني "محمود درويش". اما عن الاشكالية التي طرحتها في هذا البحث هي:ما المقصود بشعر السجون؟وكيف أثّر السجن في الكتابات الشعرية التي نظمت خلف القضبان؟ وما مدى تجلي صورة الوطن في شعر محمود درويش من خلال قصائده؟.

ومن دوافع واسباب اختياري لهذا الموضوع قلة الدراسات التي مزجت بين صورة الوطن وشعر السجون، بالاضافة الى ميولاتي الادبية وشغفي المتواصل بالقضايا الشائكة على غرار الوطن والسياسة والسجن، وهذه القضايا قد استرعت انتباهي نتيجة للوضع المزري الذي صارت تعيشه الامة العربية

وحاضرها المارع بالمخاوف، وقد اعتمدت في هذا البحث منهجا تاريخيا وصفيا ارتايت من خلاله الى وضع خطة قسمتها الى: فصل تمهيدي حول تيمة السجن وشعر السجون تحدثت فيه عن مفهوم السجن لغة واصطلاحا: والسجن من منظور الدين والقانون والمجتمع، ثم انواع السجناضافة الى دراسة الحفريات التاريخية لشعر السجون بداية من المفهوم ثم مراحله عبر التاريخ واسماء لبعض الشعراء الذين ذاقوا ويلات السجن. اما الفصل الاول موسوم:حضور الوطن في شعر السجون، حيث تطرقت الى مفهوم الوطن والوطنية، وعلاقتة الوطن بالقومية ونماؤه بين الالتزام والانتماء،ثم عن علاقات التاثير والتاثر المتبادلة بين الوطن والسجن والشعر. وفي الفصل الاخير خصصت دراسة موسعة لابراز الصور التي ظهر عليها الوطن في شعر محمود درويش من خلال مجموعة قصائد مختارة. واخيرا خاتمة وملحق. اما عن الصعوبات فالحمد لله لم تعرقلني صعوبات كبيرة غير قلة بعض المراجع لا اكثر ولا يسعني في هذا المقام سولى ان احمد الله عز وجل على اعانته ، واشكر فضله، فلولا عونه سبحانه وتعالى لما كانت المذكّرة لتخرج بهذا الشكل البسيط. كما اخص بالشكر الاستاذة الفاضلة "بروش حسناء" التي طوقتني بنصائحها وارشاداتها وشرفتني بقبول الاشراف على هذه المذكرة. واسال الله عز وجل ان يبارك لي في هذه الصفحات وان يغفر الزلات، فاذا اصبت فمن الله واذا اخطات فمن نفسي ومن الشيطان.

I. مفهوم السجن وأنواعه:

1-مفهوم السجن

1-1: لغة

1-2:اصطلاحا

1-3:السجن من منظور ديني

1-4:السجن من منظور القانون

1-5:السجن من منظور المجتمع

2-أنواع السجن

-مفهوم السجن:

تأخذنا كلمة السجن إلى ما يشبه العزلة أو الابتعاد عن الناس والعيش على انفراد، لكن كل هذه المصطلحات قد تنصب ممارستها على الفرد إمّا بإرادته أو بشكل مفروض عليه. فقد وجد السجن مع وجود الإنسان وقد مارسه بطرق مختلفة.

وكلمة السجن واردة في أكثر من معجم وقاموس ، وتحيلنا إلى أكثر من مفهوم اصطلاحي، وفيما يلي سنورد بعض المفاهيم التي شرحت المعنى اللغوي والاصطلاحي للسجن:

1-1: السجن لغة:

ورد ذكر كلمة السجن في لسان العرب لابن منظور بمعنى الحبس، والسجن بالفتح: المصدر ، سجنه، يسجنه سجنا أي حبسه. والسجن: المحبس، وفي بعض القراءة(قال رب السجن إليّ مما يدعونني إليه) فمن كسر السّين فهو مصدر سجنه سجنا والسّجّان: صاحب السجن. ورجل سجين: مسجون. وكذلك الأنثى بغير هاء والجمع سجناء وسجنى وسجين فعيل من السجن والسجين[1].

فالسجن هو الحبس أو المنع من الحريّة وسلب الحق في العيش بطلاقة.

1-2: السجن اصطلاحا:

[1]- أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان-ج1، دت، ص:203.

أما اصطلاحا فقد وردت الإشارة إليها بداية في القرآن الكريم في قصّة يوسف عليه السّلام في قوله تعالى:"قال ربّ السجن أحبّ إليّ مما يدعونني إليه"[1] .

والسجن هو مدرسة للإصلاح والإنتاج الماديين، وما ذهب إليه العقاد في تعريفه للسجن بأنه "مكان لاعتقال الأسرى أو المحكوم عليهم بالموت ثم أصبح مكانا للتخلص من بعض المغضوب عليهم أو الواقفين في طريق ذوي السلطان"[2].

فالسجن هو المدرسة التأديبية التي تحيل الدولة إليها بعض الخارجين عن القانون أو المتمردين على سلطانها وحكمها.

من جهته يذهب الدكتور :**سالم المعوش في كتابه: شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر** إلى تعريف السجن بأنه: "مؤسسة عقابية تهدف إلى ردع المذنب عن عمله وإنزال العقوبة به وحجزه بغية تأديبه"[3].

فالسجن هو منع الفرد من التمتع بحريته ووضعه في مؤسسة عقابية تأديبية معدة خصيصا لهدف تأديبه وردعه عن ذنوبه حتى يمنع من متابعة الحياة بشكل طبيعي وفي أجواء طليقة.

<u>1-3: السجن من منظور ديني:</u>

سبقت الإشارة إلى أنّ ذكر السجن ورد بداية في القرآن الكريم في سورة يوسف عليه السلام وهو الحبس والإيقاف وحجز الحريّات لسبب من الأسباب.

و ديننا الحنيف لم يكن يميل إلى كبت الحريات أو منع الشخص من ممارسة حياته بطرق مختلفة، لكنه اشترط في الوقت نفسه على هذا الفرد أن يحترم القوانين التي يعيش في ظلها والتي تحمي حقوقه وتحافظ عليه وتلزمه القيام بواجباته الدينية والاجتماعية." وقد كان وجود السجون في الحياة العربية عموما بالمفهوم نفسه الذي عرفته الأمم الأخرى، وقد انتشرت السجون في المراكز السكنية الكبرى في الجزيرة العربية وفي عصر الرسول صلى الله عليه وسلم (...)" [4].

فالسجن- كمؤسسة لها أركانها وقوانينها- موجود منذ العصور الأولى وفي عصر الرسول صلى الله عليه وسلم كان المسلمون يستخدمونه أيضا.

---

[1]-سورة يوسف الآية:33.

[2]- سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية ن بيروت ، لبنان، ط1-2003، ص:34-35.

[3]- سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر- ص،38.

[4]- المرجع نفسه ،ص:30. نقلا عن: روز نتال، مفهوم الحرية في الإسلام، ص:45.

كما ورد تعريف آخر للسجن في كتاب: "الدين والحرية" للدكتور: محمود الكدواني بان: " الحبس هو تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه أو الخروج إلى أشغاله ومهماته الدينية والاجتماعية وليس من لوازمه الجعل في بنيان خاص معد لذلك بل الربط بالشجرة حبس والجعل في البيت أو المسجد حبس . وقد أفرد الحكّام المسلمون أبنية خاصة للحبس وعّدوا ذلك من المصالح المرسلة"[1].

1-4: السجن من منظور القانون:

يعرف النظام القانوني السجن على انه المكان الذي تنفذ فيه العقوبات السالبة للحرية مع تدابير احتياطية[2]

و الشائع في الاستعمال القانوني هو كلمة حبس و هو عقوبة أصلية سالبة للحرية تختلف باختلاف طبيعة الجريمة[3]

و الحبس الاحتياطي هو وسيلة إكراه للفرد حتى الفصل في مدى إدانته بالنسبة للادعاء الموجه ضده.

و هو سلب حرية المتهم مدة من الزمن تحددها مقتضيات التحقيق و مصلحته وفق ضوابط قررها القانون[4]

و عرفه الدكتور إبراهيم حامد الطنطاوي على انه: حجز للمتهم في احد السجون خلال كل أو جزء من المدة التي تبدأ بالتحقيق الابتدائي و حتى صدور حكم نهائي في موضوع التهمة.[5]

فالسجن في القانون هو مكان لتنفيذ العقوبات التي تصدرها العدالة ، سالب للحرية ومانع لممارستها بكل الطرق يبدأ بمرحلة التحقيق الابتدائي إلى غاية صدور الحكم النهائي.

1-5:السجن من منظور المجتمع:

[1]- محمود الكدواني، الدين والحرية، دار الفكر عمّان، الأردن، ط1، 2000-ص:159.

-ابتسام القسّام-المصطلحات القانونية في التشريع الجزائري-قصر الكتاب-البليدة-1998-ص224. [2]

-المرجع نفسه ص:116 [3]

-الحبس الاحتياطي،محمد عبد الله محمد المر-دار الفكر الجامعي-الإسكندرية-مصر.د ط-2006-ص:47. [4]

-ابراهيم حامد الطنطاوي.الحبس الاحتياطي.دار الفكر الجامعي،الإسكندرية.مصر.ص4. [5]

ينظر المجتمع إلى السجن على انه مؤسسة للعقاب لا تجمع بين جدرانها سوى المجرمين و القتلة و كأنهم فئة لا تحسب على المجتمع، و حتى لا تعترف بهم خارج هذه الجدران بل إن الأفراد الأحرار يعتبرونهم طفرة قد تصيب البناء الاجتماعي بالتصدع و الخراب فيصبح معظم الواحد و حتى إذا حاولوا أن يصلحوا من أنفسهم لا يمنحهم المجتمع فرصة لذلك.

و مع تطور العصور بدا المجتمع يغير نظرته للسجين و اهتم بأمره فظهرت فيه تشريعات خاصة عرفت ب:علم العقاب بما فيها التشريعات الجنائية و القانون الجنائي و قانون العقوبات و تطور مفهوم السجن لمؤسسة عقابية و لم يكن له أهمية كبيرة فيما مضى و لا توجه أدنى رعاية للمودعين فيه (....) و عرفت التشريعات الجنائية عقوبة غير بدنية هي العقوبة المانعة للحرية فجنح معها إلى السجون.[1]

فالسجن بهذا المفهوم هو مؤسسة عقابية أوجدتها التشريعات القانونية في المجتمع من أجل إعادة تأهيل المجرمين و إصلاحهم نفسيا و اجتماعيا و إعادتهم إلى الاندماج بين الأفراد مرة أخرى.

وقد وجد السجن منذ العصور الأولى بهدف بناء مجتمع قائم على العدل و المساواة.

<u>أنواع السجن:</u>

إن الحديث عن السجن هو حديث من دون شك عن معنى السلب والمنع، فمنذ متى والسجن يريح صاحبه؟ وخاصة إذا كان السجين شاعرا عايش قضايا أمته وتأثر بها.

فكلمة السجن مرعبة تأخذنا إلى عالم من الوحدة و العزلة القاتلة و الكوابيس الموحشة التي تحول ساكن هذا العالم إلى إنسان متحرق للعيش خارج الجدران الباردة التي يغتسل من نسيجها البالي كل ثانية .

و أما عن تقسيمات السجن و أنواعه فإنها تختلف من شكل إلى آخر ، فقد يكون مريحا تارة و مقرف تارة أخرى.

[1] –سالم المعوش–شعر السجون.ص:33 نقلا عن كاظم حطيط–اثر العلوم الاجتماعية و الإنسانية في تطوير القانون الجنائي:ص77.

" " و قد يتخذ السجن أشكالا متنوعة من قصر مريع مرفه إلى ديماس قذر قاس"[1]

في النظر إلى السجن كمؤسسة عقابية يمكن تقسيمه إلى قسمين:

ا–القصر المريع: يكون للسجناء السياسيين ذوو المناصب المرموقة في الدولة.

ب–الديماس القذر: يكون للسجناء العاديين و الخاصة المجرمين غير أن السجون كانت و مازالت من مقتنيات الدولة و ممتلكاتها لردع الخارجين عن القانون.[2]

و أما السجن المعنوي فانه سجن في مخيلة الشعراء ، سجن في النفس و آخر أهله و المجتمع و ثالث في مبنى حقيقي[3].

فالشاعر أحيانا يحس بالسجن وهو بين أهله و مجتمعه فيعيش غريبا تائها بينهم، كما يعيش سجنا داخل نفسه لا يرى غير الحزن و الهم و الأسى و أما الأخير فقد يحصر في مبنى جدرانه و ظلماته القاسية.

و من هذا المنطلق نجد أن السجن ثلاثة أنواع:

–**سجن نفسي:** يغترب الشاعر بينه و بين نفسه و يحرم نفسه متعا كثيرة.

–**سجن بين الأهل:** يتيه فيه الشاعر بين أهله و يضيع عيشه الرغيد معهم وقد يعتريه هذا الإحساس بسبب عزلته و إفراطه في حزنه و بعده عنهم.كما قد يحسسه أهله بهذه الغربة.

–**سجن في مبنى حقيقي:** يعيش الشاعر بين غياهب الجدران الباردة. كما أن للسجن صور متنوعة سواء أكانت بفعل سجان أم بفعل ظروف مطلقة.[4]

لقد تعددت المفاهيم التي تطرقت لموضوع السجن، ومعظمها يتفق في نقطة مفادها أنّ السّجن هو المكان المغلق الذي تصادر فيه حرية الشخص، فيمنع من ممارسة حياته بشكل طبيعي. والسجن أنواع: النفسي وهو الذي يعيش فيه الفرد نتيجة لأحزانه الكثيرة ومتاعبه التي لا

---

[1] –سالم معوش–شعر السجون في الأدب العربي الحديث و المعاصر ،دار النهضة العربية–بيروت –لبنان2003–ط1،ص:36

[2] –المرجع نفسه ص:37.

[3] –مقران فصيح: البناء اللغوي لشعر السجون،منشورات بونة:عنابة،الجزائر،ط1،2008 ص:13.

[4] –المرجع نفسه ص:13

تنتهي، فيحبس نفسه في عالم منعزل عن الآخرين.أما النوع الآخر من السجن فهو السجن الحقيقي ويكون في مبنى يدخله الفرد نتيجة لسلوكه السيئ والذي يسيء من خلاله للمجتمع .

فالسجن هو ردع للخارجين عن القانون حتى يبنى المجتمع على مبدأ العدالة والحق والمساواة بين الأفراد.

II. ***الحفريات التاريخية لشعر السجون:***

1- مفهوم شعر السجون

2- شعر السجون عبر التاريخ

3- قضايا و مواضيع شعر السجون

4- شعراء سجنوا

مفهوم شعر السجون

شعر السجون هو الشعر الذي ولد في عتمة الأقبية و ظلام الجدران ، و تمخض من رحم الوجع النائم في حنايا السجون . فهو شعر يعبر عن العذاب و المرارة و عن هموم الشاعر السجين التي لا تبارح مخيلته المخربة بمسامير الوجع .

و" شعر السجون يمثل صورة من صور المقاومة الجادة بالقلم و البدن و معلما من معالم الأصالة و العبقرية في ليالي الاستدمار لأنه شعر التزم بقضايا الوطن و الأمة و دافع عن مقوماتها في سبيل التحرر بروح إيمانية و تصور إسلامي و بسالة استشهادية " [1] .فهو ذلك الشعر الذي ينظم من وحي قلم فاض بالدمع الغزير و هو ثمرة عذاب شاعر عاش غياهب الظلم و الأسر و القهر و المعاناة ، و هو موضوع هذا الشعر هو السجن و ما يتصل به .

ولم تختلف المفاهيم التي تطرقت إلى موضوع شعر السجون فقد قيل أنّه : " الوصف الدقيق لحياة السجون في مختلف العصور و التي تمر بأقوى الألوان الشعرية و أروع التأملات و الأفكار للجماهير المضطهدة من الشعراء و الأدباء و الكتّاب ، فما زالت أصداء القيود تخترق جدران السجون الكثيفة لتترامى إلينا و لتصب في الأعماق فتحرك الكوامن المتشوقة إلى حرارة البوح الشجي .[2]

ففي دياجير السجن الحالكة لا تجد الشاعر الأسير أنيسا له غير قلمه ، و في عز توقه للحرية و شوقه لنور الشمس يجد نفسه غارقا في وجدانيات واقعه الأليم ليهرب من و حشيته و قساوته و يصور بصدق تجربة الأسر و التحدي و الصمود و البطولة ،وشعر السجون هو الشعر الذي استطاع الولوج إلى الدهاليز الخفية للسجن و تصوير نفسية الشاعر المسجون الذي فاضت قريحته و ثارت على الظلم و الجور و رفضت كل صور الذل و الإهانة ذلك لأنّ هذا

[1] -محمد زغينة،التناص في سجنيات مفدي زكريا،مجلة البحوث والدراسات،ع3-جوان،2006-ص:103.
[2] -نضيرة دير-سميرة حجّام، شعر السجون في البيئة الأندلسية،مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في الأدب العربي-ص:13.

الشعر هو " تعبير عن حالة جماعية أكثر منها فردية و ما الشاعر السجين إلا صورة مصغرة تجسد مأساة جماعية شعبية " [1]

و هو " وثيقة تاريخية للصدق و العفو و الموضوعية " [2]، فصاحب السجن هو جلاد لا يتوانى أبدا في قتل التاريخ الذي يحكيه هذا الشعر فيبذل قصارى جهده كي يتمكن من ضحيته سواء بالقتل أو الحرمان من الورق و القلم . فحديث السجون هو حديث النكبة في المصاب أو حديث التأديب في القصاص و لكنه مع هذا أو ذاك صوت صادر من أصوات التمرد و صورة حياة نابضة من صور الصراع العنيف ، صراع الإنسان مع متناقضات هذا الوجود ، و عندما يكون الإنسان مدار هذا الصراع شاعرا إلا تنتظر أن يكون النغم المعبر محملا بالعواطف الشجية و باللهب العاصف ليفوض الإرادة المغلة .[3]

فبالإضافة إلى أن السجن هو منع من الحرية و مكان لقهر النفوس و إذلالها فهو موطن غاية في الضيق محكم الغلق و القيد ، أما الكلام النابع من هذه الظلمات فهو " حصاد السجن " على حد تعبير الشاعر الصافي[4] ، و ينسب إلى السجن لعلاقة السبب و المكان لان شرطه أن يكون الشاعر سجينا حقا ، و ينظمه في السجن لا خارجه[5].

فهو الشعر الذي ولد في رحم معاناة و قهر غياهب السجون المظلمة و خلف البوابات السوداء ، افرزه جرح الاحتراق في المعتقلات و الكي بنار الظلم خلف الأسوار و الزنازين و الحرمان من ابسط الحقوق .

---

[1] -مقران فصيح،البناء اللغوي لشعر السجون عند مفدي زكريا وأحمد الصافي النجفي،مؤسسة بونة، عنابة،الجزائر،ط1،2008-ص:13.

[2] -محمد زغينة،التناص في سجنيات مفدي زكريا،ص:103.

[3] -نضيرة دير-سميرة حجام، شعر السجون في البيئة الأندلسية، ص:13.

[4] -هو أحمد السيد الصافي، شاعر عراقي ولد في:1968م-1316هـ بمدينة النجف.

[5] -مقران فصيح،البناء اللغوي لشعر السجون عند مفدي زكريا وأحمد الصافي النجفي،ص:13.

بالإضافة إلى ذلك فإنّ شعر السجون سمي كذلك لأنه كتب وراء القضبان وأنتج أعمالا شكلت تراثا متنوعا و ثريا بأقلام عاشت التجربة كاملة و جربت كل تداعيات السجن[1].

تجمع معظم الآراء على أن شعر السجون هو الكلام النابع من صميم زنازين مغلقة ، تحاكي عذابات حقيقية و صور حية و واقعية للمعاناة التي هز بها الشعراء المساجين ، لكنه في الآن نفسه شعر لا كغل من الأهل ، النابع من الإيمان بالفكرة التي عادة ما تكون سببا مباشرا للزج بالكتاب خلف القضبان . فما كان مصيرهم لينتهي هناك لولا تلك الأفكار المنطلقة من التجربة الشخصية للمحنة لغاية أسمى هي إعلاء قيم الحرية و المساواة .

شعر السجون عبر التاريخ

انتزعت فكرة إنشاء السجون من صميم الحياة الاجتماعية و ملابستها ، و نشأت مع الأجيال ظاهرة خاضعة لطبيعة الاجتماع و فلسفة الحياة، و كما كانت السجون موغلة في تاريخ العرب ، ضاربة في جذور حياتهم السياسية و الاجتماعية ، فقد أثرت كذلك في لغتهم و صور أدبهم حيث مرّ الأدب العربي على اختلاف عصوره بتجربة السجن و مرارة الاعتقال ، و ثمة الكثير مما كتبه المبدعون العرب في الأسر حيث امضوا أياما و شهورا و سنينا في غياهب السجون ، و خاضوا التجربة بمرارتها و قساوتها ، و جاء على ألسنتهم الكثير من الشعر الرائع الذي وصف السجون و صور أوضاعها. و لعل ما يلاقيه الشاعر بين تلك الجدران الباردة من ظلم و قهر و حرمان ، هو السبب في إيقاظ ملكته فجادت قريحته الشعرية بأروع الكلام ، فصار السجن بذلك عاملا قويا في تركيز الشعر و إعلاء قيمته و إرساء مبادئه لذلك فقد كان موضوع السجون "

[1]-نجوى الحيدري،شعر السجون، http://www.tunipresse.com ، 2001/09/16، 13:36.

جانبا مهما من الجوانب التي عالجها الأدباء و الشعراء و المفكرون و لا يخل أي عصر من العصور الأدبية العربية من شعراء سجنوا لأسباب مختلفة"[1].

و بالعودة إلى تاريخ الأدب العربي القديم ، نجد أن شعر السجون موجود منذ ذلك الحين حيث:

1/ العصر الجاهلي:

في هذا العصر تميزت البيئة العربية بالانقسام إلى قبائل و لكل قبيلة سيد يحكمها و يسير شؤونها ، و أمّا في الشعر فقد " كثر الحديث عن الحروب و التغازي بين القبائل ، (........) و كان الشاعر جزء مهم من التركيبة الاجتماعية ، و هو سفير بين أهله ، و غيرهم من القبائل الأخرى بحكم انه المتحدث بلسان القبيلة و خير من يمثلها. و أما السجن في حياة البدو فقد كان نتيجة للعلاقات السائدة و التي قوامها الحرب و ظهور السبي و الأسر و انتشار اللصوصية و النهب و السلب ، وفي حياة الحضر لا يتعدى هذه الأسباب مضافا إليها بعض الأسباب السياسية و الاجتماعية "[2].

فالشاعر في الجاهلية هو لسان قومه ، في الوقت الذي انتشر فيه الشعر الذي تحدث عن الحروب بين القبائل،إضافة إلى انتشار اللصوصية و السلب و النهب ، و هذه أسباب كافية للزج ببعض الأفراد في السجون ، فكيف إذا كان المسجون شاعرا، فإنّه خير من يصور هذا العالم و يتفنن في وصفه و الحديث عنه .

[1]-سالم المعوش،شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر،ص:47. نقلا عن:محمد محمد حسين، الهجاء والهجّاؤون في الجاهلية،ص:70.

[2]-سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر،ص:47-48.

وعلى الرغم من بدائية الحياة الجاهلية ، كان ثمة نوع من أنواع العلاقات تحتم على الإنسان أن يخضع لها ، و هي بحد ذاتها قانون عام فرض على الشرائع الاجتماعية ، و الخروج على هذه القوانين يشكل ظاهرة خطيرة يعاقب عليها المرء شر عقاب[1].

و حسبنا أن نقرأ من الشعر الجاهلي قول "**عنترة العبسي**" في قصيدة قالها و هو في سجن المنذر:

ترى علمت عبيلة ما ألاقي   من الأهوال في ارض العراق

طغاني بالربا و المكر عمي   و جار علي في طلب الصداق[2]

2/عصري صدر الإسلام و الأموي :

في هذين العصرين تغيرت المعطيات الجديدة ، و كان لأسباب دخول السجن أن تتغير و يصبح لهذه المؤسسة مفهوم آخر و أكثر تنظيما من ذي قبل ، فقد ذكر القران الكريم السجن في أكثر من موضع ، و استعمله الرسول صلى الله عليه و سلم في شكله البدائي ثم توسع فيه الخليفتان ، عمر بن الخطاب و علي بن أبي طالب .و إن كان عصر الخلفاء الراشدين أكثر رحمة و عدلا من بقية العصور ، فانه وضع اللبنات الأساسية لمفهوم السجن ما جعل حكام العصور اللاحقة يحولونه إلى مؤسسة عقابية مختلفة الأشكال و الأنواع و قد فتحت السجون بعد ذلك أبوابها للناس و منهم الشعراء كالحطيئة و علي بن الجهم ....الخ [3].

3/العصر العباسي :

---

[1] -المرجع نفسه ص:48.

[2] -محمد زغينة،شعر السجون والمعتقلات في الجزائر،54-62، رسالة ماجستير، جامعة باتنة،1990-ص:34.

[3] -سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر،ص:49.

في هذا العصر نجد أن مؤسسة السجن قد تطورت و عرفت المزيد من ضوابطها و تنظيمها .... و ما يقرأ فيه من شعر السجون يدل دلالة واضحة على تبلور الوعي السياسي و الاجتماعي و الفكري "و في بدء هذا العصر شمل الإرهاب السياسي بعض جهات كان لها في هذا الحقل خطوات كبيرة ، فقد لقيت السجون و منذ ذاك كثيرا من الأعيان (....)"[1]

و الدارس لأحوال هذا العصر يجد المسوغات العديدة لنمو ظاهرة شعر السجون ،فهو في تطوره لم يخل من الحروب و الإرهاب و القمع و الثورة و التمرد . "والتطور الذي أصاب الأدب العربي في العصر العباسي قد مس أيضا شعر السجون و قد اخذ هذا التطور ناحيتين أساسيتين : الأولى تتمثل في تعميق الموضوعات السابقة و الثانية هي استحداث موضوعات جديدة تتطابق و روح العصر"[2].

فالتطور الذي لحق الأدب في العصر العباسي لم يخل بين طياته من مساس بشعر السجون حيث تطورت كذلك الأسباب التي أدت إلى الزج في السجون.

4/العصر الحديث و المعاصر :

[1] -المرجع نفسه ص:49.
[2] -المرجع نفسه ص:50.

يؤدي الشعر عادة دورا خطيرا في إدارة معالم الصراع من أجل التقدم نحو الأفضل ، و كان لابد للرواد المؤسسين للفكر و الثقافة و الأدب من أداء دور مميز في المرحلة التي أطلق عليها **العصر الحديث** حيث كثرت الكتابات التي أمضى أصحابها أيّاما و ليال متعبة في ظلمات السجون و برد الزنازين و خاضوا التجربة القاسية حد النخاع .

فشعر السجون في الأدب الحديث و المعاصر واسع و متشعب و متنوع و ممتد على مساحة شاسعة من الأرض العربية ، و مستغرق حقبة زمنية طويلة تبلغ حوالي القرنين من الزمن .[1] يبدآن بعصر النهضة 1800 و ينتهيان في وقتنا الراهن[2].

و الشعر العربي الحديث قد خطا بمهمة الشعر ووظيفة الأدب خطوات رائدة في صناعة الحياة و إعادة صوغها من جديد وفق المتطلبات الحياتية الجديدة ... في وقت كان العرب ينهضون من كبوتهم و ينفضون غبار الزمن إيذانا بالانطلاق مع الحياة العصرية بداية من عصر نهضتهم[3].

وشعر السجون في الأدب الحديث و المعاصر له علاقة مباشرة بنوع الحكم السائد و علاقة هذا الحكم بالناس ، و هو يحمل في جوهره سمات أزمة ناشئة بين طرفين رئيسين في الوطن الواحد هما السجين القابع خلف القضبان و الذي يعتقد انه على حق و الحكام متسلطون في قرار سجنه و هو أمر مرتبط بالزمن العربي و بالمشكلات التي يعاني منها الأمر الذي خلق أجواء مشحونة بالتهم المتبادلة بين فئة من الشعب من جهة و بين فئة من الحكام من جهة أخرى.

[1] -سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر،ص:16.
[2] -المرجع نفسه، ص:20.
[3] -المرجع نفسه، ص:50.

والحديث عن شعر السجون في هذا العصر هو حتما خوض في غمار القضايا السياسية و الاجتماعية و الحوادث التي مرت بها البلاد العربية ، و التي كانت سببا مباشرا أو غير مباشر في الزج بالشاعر إلى السجن ، الشاعر الذي صار لزاما عليه أن يتأثر بما يدور حوله و أن يصب جام غضبه في ورقة اغتالتها الأنظمة العربية الفاسدة .

لقد شكّل السّجن عبر تاريخ البشرية أحد الهواجس التي شغلت الإنسان عبر التاريخ: حيث تكاد لا تخل ثقافة شعب من الشعوب من هذه الظاهرة التي تشكلت واقعيا قبل أن تتشكل على مستوى الوعي الإنساني، فتبلورت في قوالب فكرية وأدبية مختلفة احتوت التجربة الفردية والجماعية، وعبّرت عنها بصيغ متعددة حسب الزمان والمكان والظروف المحيطة فباتت واقعا فنيا عبر مسافة التخييل.

وقد ارتبط تاريخيا بالواقع السياسي بالدرجة الأولى وإن اختلفت الأسباب منذ القديم بين هجاء وذمّ ومدح...إلى غير ذلك من الأغراض التي زجّ بالشعراء بسببها في السجون.

شعراء سجنوا

مهما حجبت الزنزانة عن الشاعر نور الشمس ، أو غيبت عنه ريح الحرية فإنها لن تحجب فيه نور الإبداع و العزوف عن الكتابة

و التاريخ العربي الأدب قد شهد منذ العصر الجاهلي على سجن عدد من الشعراء مرورا بالعصر الإسلامي و العباسي وصولا إلى العصر الحديث . حيث اختلفت أسباب سجنهم بين السياسية و الاجتماعية و الدينية .

" وقد انقسم الشعراء السجناء إلى قسمين :

" قسم وصف فنون اليأس و ألوان العذاب التي يعانيها السجين و تنصّل من كل ذنب (......) و طلب الرحمة من حاكم سجنه و حاكم يستطيع إنقاذه .

" و قسم آخر تحدى السجن و الاضطهاد و أثبت أن البلاء محك الرجال و أن الشدائد جلاء لجواهر أخلاقهم النفيسة و حاسب الحكام الذين دفعوا به إلى الحبس و هددهم بدمغة العار ، بل بموجة الثورة . و هو ما عبر عنه محمد العيد آل خليفة في قوله :

قل للولاة دعوا التضييق و اقتصدوا فربما جرنا التضييق للمرج[1].

ومنذ العصر الجاهلي كان السجن لأسباب مختلفة من هجاء و فراق و ذم ... الخ .

عبد يغوث الحارثي

هو عبد يغوث بن صلاءة من بني الحارث من اليمن ، كان رجلا عظيم الجسم ، جميلا كريما و فارسا و سيدا في قومه ، وقع في الأسر من طرف شخص من بني عمير بن عبد شمس من بني تميم عزم بن التميم على قتله ، فقال قصيدة يحاول فيها أن يقنع آسريه بإطلاق سراحه ، ثم يتلفت إلى أهله فيخبرهم عن بلائه في الحرب و يفتخر بنفسه و يبرر آسره ، يقول في قصيدته :

ألا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم خير و لا ليا .

جزى الله قومي بالكلاب هلامة صريحهم و الآخرون المواليا

أقول وقد شدوا لساني بنسعة امعشر تيم أطلقوا عن لسانيا

فان تقتلوني تقتلوا بي سيدا وان تطلقوني تحربوني بما ليا

[1] -مقران فصيح، البناء اللغوي لشعر السجون عند مفدي زكريا وأحمد الصافي النجفي،ص:14.

وعندما وقع في الأسر ، طلب إلى آسريه أن يفتدى بمائة جمل ، فرفضوا ذلك وأرغموه على السجن و ربطوا لسانه إلى نسعة خوفا من أن يهجوهم. و سبب أسره هو قتله لرجل من بني تميم .

فقال هذه الأبيات طلبا للرحمة[1].

طرفة بن العبد

طرفة لقب ، أما اسمه فهو عمرو بن العبد بن سفيان من بني سعد و يرجع أصله إلى قبيلة بكر بن وائل ، كان له أخ اسمه معبد و منزل أهله بالبحرين .

تيتم من أبيه صغيرا فأبى أعمامه أن يقسموا له نصيبه من ارث أبيه و ظلموه فنشأ في بؤس .

قال الشعر و هو شاب و اشترك في حرب البسوس ، و كان معاصرا للملك المنذر الثالث و لابنه عمرو بن هند ، و كان صديقا لأخ عمرو بن هند ،هو شاعر مقل لكنه بلغ من جودة الشعر ما بلغه شعراء آخرون بكثرة أشعارهم ، هو من أصحاب المعلقات

[1] -عمر فرّوخ،تاريخ الأدب العربي،دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، ط4-ج1،أفريل،1981-ص:205-206.

في العصر الجاهلي و شعره بدوي خالص متين التركيب ، وقد برع في الحماسة و الفخر و الهجاء و الحكمة[1].

وقد دخل السجن بسبب الهجاء السياسي عندما هجا الملك عمرو بن هند بقوله :

فليت لنا مكان الملك عمرو   رغوشا حول قبتنا تخور
لعمرك إن قابوش بن هند   ليخلط ملكه نوك كثير[2]

الفرزدق:

ـــ سجن الفرزدق كان بسبب أنّه هجا خالد بن عبد الله القسري فكتب خالد إلى مالك بن المنذر يأمره بحبسه، فأمر به إلى السجن ودخل ابنه عليه وهو محبوس في سجن مالك بن المنذر بن الجارود، ومالك آنذاك عامل على البصرة، فقال له:يا أبت، هذا عمر بن يزيد الأسدي ضرب آنفا ألف سوط فمات فشدّ على حماره. فقال الفرزدق: كأنّك واللّه يا بنيّ بمثل هذا الحديث قد تحدث به عن أبيك والحسن البصري.

ويقول الفرزدق في هجائه:

فلو كنت قيسيا إذا ما حسبتني   ولكن زنجيا غليظا مشافره
متت له بالرحم بيني وبينه   فألفيته مني بعيدا أوامره[3]

علي بن الجهم

[1] -عمر فرّوخ، تاريخ الأدب العربي،ص:135-136.
[2] -سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر،ص:41.
[3] -أبو العباس محمد بن يزيد المبرد،الكامل في اللغة والأدب، المكتبة العصرية-صيدا،لبنان،ج1-2002،ص:95.

قال عنه الأصفهاني " كان علي بن الجهم شاعرا فصيحا ، و خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه ثم أبغضه لأنه كان كثير السعاية عليه بندمائه و الذكر لهم بالقبيح عنده ، و إذا خلا به عرفه أنهم يعيبونه و يثلبونه ... فيكشف عن ذلك فلا يجد له حقيقة ،فنفاه بعد أن حبسه " [1]

و قال أيضا "كان سبب حبس المتوكل علي بن الجهم أن جماعة من الجلساء سعوا به إليه و قالوا انه يجمش الخدم و يغمزهم" [2]

كما ذكر ابن المعتز في طبقاته أن معاداة ابن الجهم للطاهريين و أهل الاعتزال و النصارى هي السبب في نفيه و ذلك حين قال عنهم في سجنه :

تضافرت الروافض و النصارى و أهل الاعتزال على هجائي

و عابوني و ماذنبي إليهم سوى بصري بأولاد الزناء [3]

فحبسه بقي متأرجحا بين هجائه للخليفة المتوكل و بين معاداته للمعتزلة و الطوائف الأخرى.

__أبو فراس الحمداني__

هو أبو فراس الحارث بن أبي العلاء الحمداني ،ابن عم ناصر الدولة و سيف الدولة.

كنيته أبو فراس من أسماء الأسد.

---

[1] -ياسين عايش خليل،دراسات في الادب العباسي ،دار الفكر،عمان الاردن،ط1،2010 ص 61.
[2] المرجع نفسه ص61.
[3] -ياسين عايش خليل،دراسات في الادب العباسي ص61.

ولد في منبج في سوريا وتيتم صغيرا فنشا في حضانة أمه و ابن عمه سيف الدولة. ولما اشتد عوده أعجب سيف الدولة بمحاسنه و اصطحبه في غزواته.

كما يذاكر الشعراء و الأدباء فزجى حياته بين الحرب و الشعر و اللعب و الجد حتى ناهز الثلاثين من عمره.

و أما عن سجنه فقد باغته الروم ذات يوم بينما كان عائدا من الصيد فأصابه سهم ووقع أسيرا بيد الروم فأكرموه و انزلوه قصرا يخدمه فيه خادم، لكنه رغم كل هذا لم تستمل روحه الحزينة، و راسل ابن عمه لافتدائه،لكن هذا الأخير تماطل كثيرا فطال اسر أبي فراس. وفي مرحلة أسره استقى من الحزن و غرف بلا حساب. فلولا الأسر لما كانت "الروميات" تلك الخوالد في الشعر الوجداني العربي.[1]

قال ابن خالويه "امتنع الأمير سيف الدولة من إخراج ابن أخت الملك إلا بفداء عام و حمل الأمير أبو فراس إلى القسطنطينية و بلغه بها بلاغه فقال وهو في الأسر:

أما الجميل عندكن ثواب ولا لمسيء عندكن متاب

لقد ضل من يحوي هواه خريدة و قد ذل من تقضي عليه كعاب

و لكني–والحمد لله–حازم اعز إذا ذلت لهن رقاب[2].

[1] -خليل الدويهي –ديوان ابي فراس الحمداني- دار الكتاب العربي، بيروت-لبنان ط5-2003-ص7-9.
[2] -خليل الدويهي-ديوان ابو فراس الحمداني-ص45.

ابن زيدون

هو أبو الوليد احمد بن زيدون ولد بقرطبة و نشا في بيت علم ثم تردد على علماء الجامعة الكبيرة في قرطبة و اخذ عنهم الكثير حتى أصبح علما من أعلام الفكر و الأدب.

أحب ولادة بنت الخليفة المستكفي و بعد مدة تبدلت عنه و تزوجت الوزير أبي عامر بن عبدوس،فراح ابن زيدون ينظم الشعر وينظم الشعر و يهدد ابن عبدوس و كتب إليه رسالة يسخر منه على لسان حبيبته،فسجنه و راح يكتب الشعر مسترحما و كتب الرسالة الجديدة إلى ابن الحزم مستعطفا لكن دون جدوى فصمم على الهرب من السجن و فر ليلة عيد الأضحى، و لما عفى عنه ابن الحزم بعث إلى ولادة بقصيدة ضمنها عصارة نفسه:[1]

أضحى التنائي بديلا عن تدانينا و ناب عن طيب لقيانا تجافينا

هلا وقد حان صبح البين صبحنا حين فقام بنا للحين ناعينا.

إن الزمان الذي ما زال يضحكنا أنسا بقربهم قد عاد يبكينا[2]

المعتمد بن عباد

ولد سنة 1040 م و شب في بلاط أبيه على رخاء العيش وحب المغامرة اعتلى العرش سنة1068 و تزوج من جارية استطاعت أن تجيز شطر بيت ارتجلته.

كان شاعرا عبقريا،و حاول أن يجعل حياته كلها قصيدة و أن يجعل بلاطه موئل الشعراء.

2-حنا الفاغوري-الموجز في الأدب العربي وتاريخه،الأدب في الأندلس و المغرب، دار الجيل،بيروت ،لبنان ،ط3-م3-2003.1424ص110-111

-المرجع نفسه ص:226-227. [2]

كان رجل حرب افتتح المدائن و دك الحصون،و امتلك قرطبة ثم استنجد بيوسف المرابطي بن تاشفين ،هذا الأخير الذي خانه و اثار عليه الفتن،فانهزم الملك الشاعر و اسر و حمل مع ذويه إلى اغمات قرب مراكش فأقام في أسره يندب حظه و يصف أيامه الماضية.

قال قصيدة في الأسر وقد رأى بناته في احد الأعياد يمشين في فقر و حزن.

في ما مضى كنت بالأعياد مسرورا فجاءك العيد في اغمات مأسورا ترى بناتك

في الاطمار جائعة يغزلن للناس ما يملكن قطميرا،برزن نحوك للتسليم

خاشعة أبصارهن حسيرات مكاسيرا

يطأن في الطين و الأقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا و كافورا.[1]

محمد العيد آل خليفة

هو محمد العيد بن محمد علي خليفة، ولد بعين البيضاء سنة 1904 تلقى القران و انتقل مع اهله الى بسكرة.

سنة 1954 أدار مدرسة العرفان وبعد اندلاع الثورة القي عليه القبض و زج به قي السجن و بعد إطلاق سراحه فرضت عليه الإقامة الجبرية ببسكرة فلبث معزولا عن المجتمع إلى غاية الاستقلال.[2]

[1] -حنا الفاخوري-الموجز في الادب العربي و تاريخه-الادب في الاندلس و المغرب-ص220-223

[2] -شعر الجزائر-ديوان محمد العيد محمد علي خليفة، موفم للنشر،الجزائر،2010-ص:2

أثناء إقامته الجبرية حرم من حق حرية الاجتماع و طوق برقابة شديدة و في فترته المضنية هذه سمع صوت طاءر جميل داخل منزله فاستبشر بذلك و أبت شاعريته إلا أن ترد تحية زائره:

جزمت بقرب إطلاق الأسير غداة سمعت صوت أبي بشير

فضمت مرحبا بنزيل بمن عليا بكل إكرام جديد

وجئت أبوح بخواء سرا ومن للحر بالصوت الجهير

أناجيه بآمالي و حالي و استفتيه عن شعبي الكسير [1]

مفدي زكرياء:

هو الشاعر زكرياء بن سليمان بن يحي بن الشيخ سليمان لقبه زميل البعثة الميزابية سليمان بوجناح بمفدي فأصبح لقبه الأدبي الذي اشتهر به ، ولد ببني يزقن ، درس القران و تعلم مبادئ العربية بمدرسة السلام[2].

و أما عن شعره السياسي فقد زج به في غياهب السجن في بربروس يوم 28 افريل 1955[3]و نظم قصائد عديدة خلف القضبان كالنشيد الوطني ، إضافة إلى قصيدة أخرى يتحدى فيها سجانه فيقول :

سيان عندي مفتوح و منغلق يا سجن بابك أم شدت به الحلق

أم السياط به الجلاد يلهبني أم خازن النار يكويني فاصطفق [4].

إن الشعراء المساجين هم وليد و تجربة قاسية تمخضت عن ميلاد قهر تغلغل بين جنيات الزنا زن المظلمة . و عاش بين جدران السجون الباردة ، و هناك بعض الشعراء الذين تحدثوا عن السجن و لم يدخلوه و كانوا بدورهم يقدمون آراءهم عنه و يتخذون من قضاياه مدارا لأحاديثهم دفاعا عن الذين زجّوا ظلما فيه، ويشرحونها وكأنّها قضاياهم الذاتية.

---

[1] -شعر الجزائر – ديوان محمد العيد محمد علي خليفة ص 422.

[2] -محمد الهادي الزاهري السنوسي – شعراء الجزائر في العصر الحاضر – دار بهاء الدين قسنطينة- الجزائرط 2 . 2007ص :253.

[3] - مفدي زكرياء، اللهب المقدس ، موفم للنشر، الجزائر 2009، ص 25

[4] - المرجع نفسه ،ص :25.

وهناك فئة من الشعراء يشعرون شعور المساجين ويحسّون أنهم في هذه الدنيا الرحيبة إنما يعيشون في سجن من أنفسهم نتيجة اليأس الذي تمكّن منهم. وهو سجن نفسي سببه المعاناة الخاصة التي عاشوها.

__قضايا ومواضيع شعر السجون:__

تطرق شعر السجون عبر مسيرته لمجموعة من القضايا والمواضيع سواء تلك التي مسّت الشاعر السجين وتاثر بها، أو التي أصابت شعبه وتأثر بها الشاعر كذلك. ويمكن إجمال هذه القضايا فيما يلي:

1: **__الظلم:__**

إن الحديث عن موضوع الظلم ليس مقصورا على الشعراء الذين سجنوا فحسب، "بل انه كان موضوعا عاما تناوله معظم الشعراء. أما الذين سجنوا فكان وقع الظلم عليهم شديدا إلى الحد الذي جعل معاناتهم تفوق أي معاناة"[1].

كما عمد المبدعون في عصر النهضة إلى المزاوجة بين النضال السياسي والنضال الاجتماعي، والفكرة الشائعة التي تبناها الشعراء في سجنياتهم هي أن الظلم لن يعمر طويلا والناس كلهم مصيرهم إلى المساواة بعد حين من الزمن.

والظلم في شعر هؤلاء متعدد الوجوه:سياسي–اجتماعي–اقتصادي–فكري. وكانت العبرة في نظرهم تكمن في النهاية" في انتصار المظلوم وإبادة مصادر الظلم"[2]. فالظلم الذي لقيه الشعراء جعلهم يعيشون في قوقعة من اللاياس، وانتظار الفرج لان موعده آت لا محالة.

2:التحريض السياسي:

ارتبط موضوع الظلم بموضوع التحريض السياسي في شعر السجون نظرا للحالات المزرية والأحداث المأساوية التي تعاقبت على البلاد العربية، فكان لزاما على الشعراء أن يقوموا من سباتهم، وان يقفوا وقفة رجل واحد ضد الفساد. وان يحرضوا الشعب على القيام والثورة والمطالبة بالحقوق المغتصبة.

إن الصمود وحب الأرض هو ما يدفع الشاعر إلى الخوض في غمار هذا التحريض الذي يؤدي به غالبا الى ظلمات السجون. فهذا الشاعر "محمود درويش" يذكّر هذه الأمة بأصولها ويحرض الشعب على التمسك بأرضه ، فيقول:

[1]-سالم المعوش،شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، ص:54.
[2]-سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر،ص:66.

لو يذكر الزيتون غارسه

لصار الزيت دمعا

سنظل في الزيتون خضرته

وحول الأرض درعا

إنا نحب الورد

لكنا نحب القمح أكثر[1]

كما يتخذ الشعراء من شعرهم منبرا للتحريض السياسي، وهو تحريض غايته الكشف عن خبايا الأنظمة بصورة فنية، وحث الشعب على تغيير واقعه وإخراج المستعمر بأشكاله كافة. وهذا التحريض مرتبط بالثورة التي عادة ما تحمل معها رياح التغيير.

كما أن هذا التحريض" هو استحضار للماضي التليد عن طريق تقديم الأمثلة التي ينبغي الاقتداء بها(....) وما من ظلم استمر إن وقف أبناء الوطن ضده ، وهو طريق للوصول إلى التحرر"[2]. فالتحريض السياسي هو وسيلة جيدة يعتمدها الشاعر ليوقظ روح الثورة في نفوس الشعب.

3: **الرفض والإباء:**

[1]-سامر محي الدين امين،روائع من قصائد محمود درويش،دار كنوز المعرفة،عمان، الاردن،ص:49.
[2]-سالم المعوش،شعر السجون في الادب العربي الحديث والمعاصر،ص:83.

عرف عن العرب عبر مختلف عصورهم أنهم"امة عصية على كل من يحاول استهدافها والنيل من كيانها ووحدتها او المساس بكرامتها وعزتها وسيادتها"[1]. فالرفض هو ما يميز الفرد العربي ، وقد يجر الشاعر إلى السجن، كان يرفض فكرة اقترحها أسياده ولم تعجبه ، أو كأن ينتقد نظام حكم فهو رافض له، فكل هذه الأسباب تؤدي إلى الأغلال.

وعندما يتبنى الشاعر فكرة الرفض ويعممها على أبناء شعبه خاصة"عندما يغدو الشاعر لسان حالهم من جهة، ويضحى إبداعه الشعري استجابة لواقع انتمائه الاجتماعي وأعرافه وقيمه من جهة أخرى"[2].

وفي العصر الحديث، كشفت بعض الأنظمة عن ثلّة من الشعراء الذين استثمروا موضوع الرفض في أشعارهم لا سيما في مواجهتهم للتحديات المستهدفة لكرامة الأمة العربية وسيادتها وأمنها. فقد هتف الشعراء مرددين ما يجيش في صدور الشعب العربي من رفض وإباء وثورة وصمود ونضال وجهاد ضد المستعمرين بمختلف أشكالهم.

وقد أصبح رفض الطغيان عقيدة وإيمانا في نفوس الشعب العربي كله، ويقول الشاعر" محمد الفيتوري":

زحفت كواكبنا فقال لصحائف المجد استعدي

هذا الذي غرسته كف الشعب في اليوم الأشد

هذا حصاد القادرين على الإرادة والتحدي[3]

[1]-احمد اسماعيل النعيمي، مقالات في الشعر والنقد والدراسات المعاصرة،دار دجلة، عمان،الاردن،2011-ص:77.
[2]-المرجع نفسه، ص:77.
[3]-المرجع نفسه ، ص: 79.

فالرفض والإباء صفة كل عربي لا يقبل الذل ولا يرض الرضوخ لسلطة الطغيان، أو العيش تحت وطأة العذاب أو رحمة الجلاد. هذا هو الشاعر العربي الذي أبى إلا أن يعيش بكرامة حتى لو كان داخل زنزانة مظلمة.

4:الحرية:

إن الشعب العربي هو شعب أبي ، رافض لكل أشكال العبودية، ولا يستطيع العيش خارج حريته. فهو كالطير الحر لا يمكنه أن يعيش في قفص مغلق.

والحرية " قوام كرامة الإنسان. أنها كرامة وميزة إنسانية شاملة تتأتى من خلال ممارسة الإنسان لاختياره النيّر، ومع أن البشر قد يمتلكونها على درجات متفاوتة فإنها ليست امتيازا خاصا(....) وممارستها دعوة إنسانية شاملة"[1]. فمن دون الحرية لا يستطيع الشاعر العربي أن يمارس موهبته، ومن دونها "يبقى الشعب أسيرا مكبلا

وموضوع الحرية في طليعة مواضيع شعر السجون، كيف لا وهي النقيض الطبيعي للتحكم والسجن والاستبداد والاستعباد، فالحياة من غير حرية لا معنى لها، ومن افتقدها افتقد نفسه"[2]. فالتحرر من قيود الاستعمار هو غاية تنشدها الشعوب العربية منذ زمن طويل، فهو "ميزة العصر بأكمله"[3]. وكان لابد من تحطيم ثنائية السيادة والعبودية التي صار يمارسها الطغيان منذ زمن.

ومن بين الشعراء الذين تغنوا بالحرية الشاعر(أبو القاسم الشابي) ، فقد "تغنى بالحرية الفردية وحرية الشعب التي ينتقص منها المستعمرون، فلجا إلى التحريض ودعا دعوة صريحة لا

[1]-فيصل سالم العيسى، النزعة الانسانية في شعر الرابطة القلمية، دار اليازوري، عمان، الاردن،ص:95.
[2]-سالم المعوش، شعر السجون في الادب العربي الحديث والمعاصر،ص:84.
[3]-المرجع نفسه ص:96.

يخالطها لبس(....)إلى التصدي للطغاة والتضحية في سبيل انتزاع الحرية الفردية والجماعية.مؤكدا أن حرية الفرد تستمد أساسا من حرية شعبه ومجتمعه"[1].

يقول في قصيدة إرادة الحياة:

إذا الشعب يوما أراد الحياة

فلابد أن يستجيب القدر

ولابد لليل أن ينجلي

ولابد للقيد أن ينكسر[2]

فالحياة هنا هي الحرية التي تعد طموحا تسعى النفوس إلى تحقيقه، وإذا كانت إرادتها جماعية لابد أن تذعن لها القوى الأخرى ولابد أن تتحقق.

<u>5: الاستعمار:</u>

تبرز قضية الاستعمار في شعر السجون من خلال وصفها أساسا من أسس الصراع الدائر بين الإنسان وتملكه لوطنه، "فالشاعر يحتمل الأذى طوعا لأنه يقدّر الثمن الذي سيدفعه من اجل إعادة امتلاك مقدرات بلاده، والتصرف بها بما يخدم الشعب"[3] فنجد الشاعر يشهر سلاحه في وجه هذا الوحش الذي لا يعرف معنى الإنسانية ويزج أصحاب الفكر في سجون لا تتوفر فيها أدنى شروط الحياة.

---

[1]-ابراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة،عمّان، الاردن،ط1،2003.ص:215.
[2]-يوسف عطا الطريفي،ابو القاسم الشابي(حياته وشعره)، دار الاهلية، بيروت، لبنان، ط1،2009-ص:296.
[3]-سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، ص:108.

وقد تناول شعر السجون موضوع الاستعمار في البلدان العربية ، ذلك لان هذا الشعر "يرى أن مهمته أن يكشف عن الممارسات الاستعمارية وما جرّت من ويلات إلى الشعوب"[1].

وبالعودة إلى الواضع العربي الراهن نجد أن الثورة الجزائرية التي قامت ضد الاستعمار الفرنسي أقوى دافع للكتابة عن موضوع الاستعمار فقد "انطلقت الثورة وحاملوا لوائها يعلمون إن الكفاح سيكون طويلا لكن نتيجته محققة، فكانت إرادة الشعب قوية وكانت المواجهة شجاعة"[2]. ويقول شاعر الثورة الجزائرية "مفدي زكرياء" في الإلياذة ، مذكرا بالأمجاد التي حققتها الثورة أمام الاستعمار الفرنسي:

وتذكر ثورتنا العارمة بطولات سيدتي فاطمة

يفجر بركانها جرجرا فترجف باريس والعاصمة

وخلّد باسم أمها ذكره فزكت قداسته الدائمة[3]

وشعر المقاومة الفلسطينية كذلك هو شعر فرض نفسه في الساحة العربية خاصة انه"يعبر عن تاثير المواجهة المباشرة مع المحتل الصهيوني، فهو يصف القمع الإسرائيلي وصفا لا نجد له نظيرا في اي شعر آخر ويصف صمود الفلسطيني على أرضه. يقول توفيق زياد:

اهونا لف مرة

[1]-المرجع نفسه،ص:113.

[2]-احمد مزدور، الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر-2005-ص:7.

[3]-مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، موفم للنش، الجزائر،2006-ص:55.

أن تطفئوا الشمس وان......

تحبسوا الرياح

أن تشربوا البحر وان...

تنطقوا التمساح[1]

فالفلسطيني هو وليد التجارب المتتالية والحقب التاريخية المؤلمة والمواجهات الدائمة والمجازر المتكررة، فهذا الشاعر الذي"لم يكن يعبث لحظة بأدوات رسالته لفرط حساسيتها"[2].

يقول الشاعر محمود درويش:

نجوت مصادفة

كنت اصغر من هدف عسكري

واكبر من نخلة

تنتقل بين زهور السياج

وخفت كثيرا على إخوتي وأبي

وخفت عليّ زمنا

من زجاج

وخفت على قطتي وعلى أرنبي

[1]-إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث،ص:239.
[2]-محمد إبراهيم، محمود درويش حياته وشعره، دار الإسراء، عمان ، الأردن،ط1،2009-ص:1.

وعلى قمر ساحر

فوق مئذنة المسجد العالية[1]

إن شعر السجون هو الشعر الذي ولد في السجون وترعرع بين أحضان الظلم والاستبداد، وطرق كتّابه أبواب الخوف ليعبر عن معاناته وصموده مهما طال الزمن.

فهو شعر لا يخل من الأمل والانتظار. وقد عالج هذا الشعر مجموعة من القضايا ، وتطرق لجملة من المواضيع التي مست الشاعر بمفرده أو مع الوطن بصفة عامة. كالظلم والاستعمار والحرية والرفض والإباء والتحريض السياسي.

وبهذا يكون شعر السجون علامة مميزة تدل على واقعية الحياة وتياراتها المختلفة، فالشعر منذ وجوده الأول يسير جنبا إلى جنب مع الحياة العامة للمجتمع العربي في العصور المختلفة، إلى جانب ذلك هناك عدد كبير من الشعراء المساجين الذين عاشوا ويلات السجون وذاقوا مرارة العذاب والظلم والاستبداد والاهانة.

[1]-محمود درويش،الأعمال الكامل،الاسكندرية،مصر،ص:31.

الفصل الأوّل:

حضور الوطن في شعر السجون

حضور الوطن في شعر السجون

1-مفهوم الوطن والوطنية

2- الوطن بين الانتماء والالتزام

3- الوطن بين الوطنية والقومية

4- العلاقة بين:الوطن والسجن والشعر:

4-1:تأثير الوطن في الشعر

4-2:تأثير السجن في الشعر الوطني

1- مفهوم الوطن والوطنية:

مفهوم الوطن:

لكل منا تعريفه للوطن، فهناك من يعتبره الأم التي ولد من رحمها وهناك من يراه في الديار ومن سكنها من الأحباب. ويعرف الوطن في معجم لسان العرب لابن منظور بـ:" الوطن هو المنزل الذي تقيم به وهو موطن الإنسان ومحله، والجمع أوطان. وأوطان الغنم والبقر: مرابضها وأماكنها التي تأوي إليها، ومواطن مكة مواقفها وهو من ذلك وطن بالمكان وأوطن: أقام. واطنه: اتخذه محلا ومسكنا يقيم فيه. والميطان: الموضع الذي يوطن لترسل منه الخيل في السباق وهو أول الغاية. وروى عمرو عن أبيه قال: المياطين، الميادين"[1].

فالوطن هو المكان الذي يقيم فيه الإنسان ويتخذه محلا ومسكنا له. وهو مربض الحيوان ومكانه الذي يأوي إليه.

ويقول الدكتور محمد محمد حسين في كتابه الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر:"الوطن في اللغة محل الإنسان مطلقا، فهو السكن بمعنى: استوطن القوم هذه الأرض وتوطنوها أي اتخذوها سكنا."[2]

[1]-ابن منظور، لسان العرب. ص: 239.

[2]-محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر،الأول والثاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان-ط7-1984 ص:70.

أما اصطلاحا فقد عبر عن الوطن بألفاظ ومصطلحات عدة، تختلف حسب مساحة دلالاتها المكانية:

*أماكن السكن: للتعبير عن أماكن السكن(...) كانت قد استعملت مصطلحات ترجع بمعناها الأصلي إلى المجتمع ومشتقة كقاعدة عامة من أفعال الحركة والانتقال وهذه الألفاظ هي:

-المنزل: مفرد جمعه منازل، وهو موضع النزول ولهذا سمي البيت منزلا لأنه موضع نزول العائلة والنزول الحلول والنزيل: الضيف.

-الدار: مفرد جمعه ديار والدار مكان النزول ، منزل، خيمة أو كل موضع حل به القوم وسميت الدار دارا لدورها على أهلها.[3]

فكلمة الوطن في القديم كانت تعني المنزل الذي يحل به المرء وينزل فيه مع أهله أو عشيرته، كما قد يكون "موطن الإنسان هو مسقط رأسه ومكان أهله وأقربائه سواء أكان خيمة أو مغنى ، انه المكان الذي امضي فيه المرء طفولته وفتوته".[4]

[3]- وهيب طنوس، الوطن في الشعر العربي، ط1،1975-1976 ص:185-187.

[4]- محمد زغينة، الأبعاد الموضوعية والخصائص الفنية في سجنيات شعراء جمعية العلماء المسلمين(59-62)- دار نوميديا، قسنطينة،الجزائر ، دط-ص:68.

إن الوطن كلمة مؤلفة من أحرف قليلة لكنها بملايين المعاني، وهو المكان الذي يولد فيه الإنسان ويتربى من خيراته ويكبر على حبه والولاء له، فهو البيت الذي يحتضن الفرد ويحميه من البرد والحر وسط أهله وناسه.

وقد تطور مفهوم الوطن من البقعة التي تضم عددا معينا من الأفراد إلى الأرض الواسعة التي يقطنها شعب تجمعه جوامع الماضي وتوحده خصائص وقيم منها: الدين، اللغة، التاريخ والمصير المشترك.

ثم اكتسب الوطن مفهوما آخر أكثر تطورا فأصبح يعني البقعة الجغرافية المعينة بحدودها وبشرها وتاريخها، فانتقل بذلك الوطن إلى مفهوم الدولة المستقلة ذات السيادة.

وبالعودة إلى المعنى السياسي للوطن فانه لم ينشأ إلاّ مع نشوء القوميات وتكتل الجماعات وظهور النظم، كما يقصد به وطن قومية من القوميات كالقومية العربية مثلا فالوطن عند أهل السياسة" مكانك الذي تنسب إليه ويحفظ حقك فيه ويعلم حقه عليك، وتأمن فيه على نفسك وآلك ومالك ومن أقوال السياسيين فيه: لا وطن إلاّ مع الحرية. وقال لابروير الحكيم الفرنساوي: لا وطن في حالة الاستبداد ولكن هناك مصالح خصوصية ومفاخر ذاتية ومناصب رسمية وكان حد الوطن عند قدماء الرومانيين: المكان الذي فيه للمرء حقوق وواجبات سياسية".[5]

[5]–محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ص:70.

إنّ محبة الإنسان للأرض التي ولد فيها هي محبة غريزية وهي"قديمة ليست ضربا من الاكتشاف، فقد كانت منذ كان الإنسان، ففي الجاهلية كان وقوف الشعراء على الأطلال وبكاء الديار ثم سارت محبة الأوطان عبر العصور"[6].

يقول ابن الرومي وهو أول شاعر تغنى بحب الوطن:

ولي وطن آليت ألاّ أبيعه ولا أرى غيري له الدهر مالكا[7]

فمشاعر الشوق منذ الجاهلية كانت تظهر من خلال المقدمات الطللية التي كان يستهل بها الشعراء قصائدهم، وهي مشاعر صادقة اكتوت بنار الفراق والبعد عن الأوطان لان المحبة التي يعبر الشاعر عنها ليست من فراغ، إنما هي"ظاهرة كونية عامة تستدعيها العاطفة والعقل معا، فالعاطفة تتمثل بارتباط الإنسان بجذوره وتاريخه وتوقه الدائم للماضي بكل ما فيه من جمال(...) أما على مستوى العقل فهو وفاء تستلزمه الأخلاق النبيلة والمبادئ السامية لأنه شعور يربط الفرد بالجماعة ويجعله يدور في فلكها ويخلص لها"[8]. والإنسان مهما رحل وارتحل وسكن القصور لن ينسى أبدا موطنه الأول وحنينه إليه يبقى يدعوه دائما. يقول أبو تمام:

كم منزلا في الأرض يألفه الفتى وحنينه أبدا لأول منزل.

---

[6]-فيصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، دار اليازوري، عمّان –الأردن-2006 ص:81.

[7]-السيد احمد الهاشمي، جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب-دار الفكر ،بيروت،لبنان-2004- ص:525.

[8]- فيصل سالم العيسى،النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص:81.

لقد اختلفت التعريفات التي تناولت مفهوم الوطن بين من اعتبره الجامع بين فتات ترابه البشر والشجر والحجر وهناك من عرفه بأنه المكان الذي يولد فيه الإنسان ويكبر في حين انه يوجد من اعتبره تجمعا قوميا يحوي جماعات ونظم بعينها لا أكثر.

مفهوم الوطنية:

إذا اعتبرنا أن الوطن هو المكان الذي يقيم فيه الإنسان، فإنّ الوطنية هي الإخلاص والتفاني والتضحية في سبيل هذا الوطن والشعور بالانتماء إليه. والشعور بالوطنية"اصطلاح أفرنكي انتقلت بذوره إلى الشرق من مطاوي العلوم العصرية وأصول المدنية الحديثة التي اهتدى إليها أهل الغرب"[9].

فالوطنية صارت أكثر متانة بفضل العلوم التي انتقلت من الغرب إلى الشرق والتي استطاعت أن تنمي الوعي الوطني والقومي لدى الشعوب وصارت الوطنية بذلك أساس تقدم الشعوب وبناء الحضارات، فمتى أحب الفرد وطنه ضحى في سبيله، وتفانى في خدمته وتشييده وتطويره.

وهذا الشيخ العلامة عبد الحميد ابن باديس نجده واقفا موقف الوطني المعتز بكرامة وطنه، يقول في هذا الصدد: "ليس كل من يدعي الوطنية وطنيا صادقا في وطنيته، وإنما للوطنية معالم وحدود يقررها في قوله: إنما ينسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي ومصالح

[9]– محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، ص:69.

الحاضر وآمال المستقبل والنسبة للوطن توجب علم تاريخه والقيام بواجباته من نهضة علمية، اقتصادية وعمرانية والمحافظة على شرف اسمه وسمعة بنيه فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ولا سمعة لقومه"[10]. فهو يؤكد لنا أن البذرات الأولى للوطنية هي حب الوطن والخوف على مصالحه والمحافظة على شرفه واسمه والتباهي به بين الأمم.فالوطنية من هذا المنطلق"لا تكون صحيحة إلاّ إذا عملت على إعلاء شان الإنسان"[11]

اختلفت مفاهيم الوطنية باختلاف المناهج الفكرية لدى الباحثين ، فمنهم من جعلها عقيدة يوالي عليها ويعادي ومنهم من جعلها تعبيرا عاطفيا وجدانيا، فالوطنية هي:

- ✓ العاطفة التي تعبر عن ولاء الإنسان لبلده: ذلك لأنها الشعور الأول الذي يجعل الإنسان وفيا لوطنه بوعي أو بغير وعي منه.
- ✓ تعبير قومي يعني حب الشخص وإخلاصه لوطنه.
- ✓ قيام الفرد بحقوق وطنه المشروعة دينا وقانونا.

إن ممارسة الوطنية هي طريقة مثلى للتقدم الحضاري وتطور الشعوب، فالمجتمع "في نشدانه للتغيير وطلبه للحرية والعدالة والمساواة وإحقاق الحق وفي هاجسه الدائم المتجسد في ضرورة صيانة الوطن واستقلاله وكرامته وعزّته(....) يدفع بأشخاص كثيرين باتجاه المبادرة لتنكب سلاح

---

[10]–محمد الصالح الصديق، الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس–من آرائه ومواقفه–دار الأمل، ط2، ص:118.

[11]– فيصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية،ص:65.

الدفاع عن وطنه وقيمه"[12].فلا يستطيع الإنسان أن يمارس وطنيته بطريقة مثلى إلاّ إذا أحبّ وطنه وصان كرامته ورموز سيادته وهذه هي الوطنية المنشودة.

2/ الوطن بين الانتماء والالتزام:

الالتزام في الشعر:

إنّ الالتزام في الشعر "لم يؤدّ مفهوما حقيقيا في أذهان معتنقيه، فهو عندهم مزيج من السياسة والاجتماع والمفاهيم الوطنية والقومية والدولية ومبادئ الصراع والثورة. إنه ثورة السياسة والمجتمع وقد ينزل في مفهومه فيصبح أدبا يرافق نظاما معينا ونوعا معينا من أنواع الحكم"[13].

فالالتزام هو مزيج من السياسة والاجتماع لأن الشاعر إنسان يعيش التجربة بكل تفاصيلها سواء تعلقت بالمجتمع الذي يعيش فيه أو بنظام الحكم الذي يمارس حرية التعبير تحت ظله ، هو في كلتا الحالتين ملزم بالتعبير عن قضايا وطنه بانفعالات صادقة ولا بد له "أن يعبر في عن تطلعات الأكثرية الاجتماعية وان يكون ناطقا بلسانها وان يدافع عنها وعن حقوقها في وجه المستعمر وان لم يكن ففي وجه الطغاة والمستبدين فان لم يكن ففي وجه المستغلين الجشعين الذين يستأثرون بثروات الشعوب تاركين الأغلبية الساحقة للفقر والجوع. فاصطبغ الأدب الملتزم

---

[12]–سالم المعوش، شعر السجون في الشعر الحديث والمعاصر، ص:459.

[13]–أحمد قبّش،تاريخ الشعر العربي الحديث،دار الجيل،بيروت، لبنان، ص:601.

بذلك بالغضب والثورة والحث على المقاومة والاستشهاد في سبيل التحرر الوطني من الاستعمار"[14].ذلك لان الشاعر هو تلك الروح الناطقة باسم الأغلبية الاجتماعية التي يعيش في كنفها ويعبر عن قضاياها بمزيد من الثورة والوجع مستعينا في ذلك بحروفه وأقلامه وتصويره للواقع المعيش بكل شفافية.

وقد نشأت فكرة الالتزام في العصور الحديثة نتيجة لارتباط الأديب بمشكلات الحياة الواقعية وإدراكه لخطورة الدور الذي يقوم به إزاء هذه المشكلات[15] فتفطن الشاعر إلى العلاقة التي تربطه بمشكلات واقعه هو اهتمام منه بهذه العلاقة وعمل على تأصيلها وإرساء معالمها في مفكراته الشعرية لأنه "سرعان ما يحس أنّ مشكلاته الخاصة لا تنفصل عن مشكلات الناس(....) وان يدرك أنّ مشكلات الناس هي المحور الحقيقي لكل معاناته"[16]. فالتزام الشاعر بقضايا أمته هو تحرر من قوقعة الأنا والخروج عن إطار الفردانية التي يعمل لصالحها فقط، وهو عيش الشاعر من اجل غيره قبل نفسه يناقش قضايا الواقع المعيش ويبحث في صميمه عن الجوهريات التي تجعله مسئولا بالدرجة الأولى عن التعبير عما يكتنف واقع أمته من تطورات. فالشاعر "جزء مهم من التركيبة الاجتماعية وهو لسان حال مجتمعه"[17].

[14]–إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة،عمّان، الأردن،ط4،2010،ص:218.

[15]–عزالدين إسماعيل، الشعر في إطار العصر الثوري،دار القلم،بيروت،لبنان،ط1، سبتمبر–1974–ص:12.

[16]–المرجع نفسه ص:13.

[17]–سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، ص:48.

وفي ظل الأزمات المتتالية التي مست المجتمع العربي وجد الشاعر العربي نفسه محاطا بهالة من الالتزامات تجاه وطنه، وصار لزاما عليه أن "يتحرك نحو مجموعة من القيم الإنسانية التي صارت تمثل عقيدة المجتمع، ووجد نفسه يتفاعل مع هذه القيم بوصفه إنسانا يعيش في جماعة وتربطه بها مصالح وأهداف مشتركة"[18].

فارتباط الشاعر بمجتمعه هو في الحقيقة تلاحم صلب لا يندثر، إذ أنّ هذا الفنان المرهف الحس لا يستطيع أن يلتزم بواقع مجرد غير الذي يحياه، بل إنّ التزامه نابع من فكرة انه العنصر البسيط الذي تتكون منه الخلية. فالفنان"لا يتبنى فكرة مجتمعه أو عقيدته إلاّ بعد التحام حميم به، وتجاذب عنيف معه ويوم يتبنى عقيدة مجتمعه أنها تكون قد صارت عقيدته الخاصة..."[19] ويشترط في الشاعر الذي يثور على وطنه أن يكون صادقا في شعوره غير راض على وضع أمته ، ذلك لان الشاعر الملتزم هو"من كانت ألفاظه صادقة عن انفعالاته وهو الذي عانق اللفظ لديه حرارة المعنى والانفعال الذي ولده، انه الصدق في الانفعال والصدق في نقل الانفعال"[20].

كل ما سبق ذكره يعود إلى كون المجتمع الذي تحدثنا عنه هو مجموعة من الأفراد، فكيف لو تعلق الأمر بوطن برمّته، وطن تتفاعل فيه كل القوى لبنائه والحفاظ على مقوماته وإرساء معالمه التي لا تتغير؟ ورسم ملامحه التي لا يعلى عليها؟.

---

[18]–سالم المعوش، شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، ص:20.
[19]–عزالدين إسماعيل، الشعر في إطار العصر الثوري، ص:20.
[20]–احمد قبش، تاريخ الشعر العربي الحديث،ص:600.

ولعل اكبر همّ يشغل الشاعر هو التغيير الجذري والثورة على كل ما هو قديم وبال، ذلك التغيير الذي قد يمس حتى الوطن باعتباره–دائما– الكل الذي يحوي أفرادا اقسموا على بنائه وفي الأمة العربية يمكن أن نستشف هذا المبدأ بداية من"الحركات الإصلاحية التي مستها منذ زمن بعيد، وخاصة من الناحيتين الدينية والاجتماعية لهدف تحرير الذات الإنسانية واستكشافها بعيدا عن التأزم والصراع، كما ألقت هذه الفكرة بظلالها كذلك على المستوى السياسي ففي مصر الدعوة المشهورة لأحمد لطفي السيد يقول: مصر للمصريين..."[21].

بكل هذه الأفكار والمعتقدات والمبادئ يصير الشعب رمز القيم والمثل والفضائل في الوطن، ويصبح الشعر بذلك رسالة تحوي جانبا من التعبير الصادق عن التجربة الإنسانية والتي يقوم بها الشاعر نيابة عن أبناء وطنه، فالشاعر العربي الملتزم هو ذلك الذي"اهتز وتره الشعري لما يجري في الوطن العربي من احداث ضخمة، فيثور لثوّار فلسطين والجزائر والعراق والأردن....الخ. فهو الشاعر الذي يكون صفيحة غليان الجيل العربي الشاب في كل أرجاء الوطن العربي"[22].

إنّ الالتزام بقضية تمس الوطن هو رغبة في التعبير عنه والاقتراب من عوالمه ، والشاعر العربي–هذا الكائن الذي مذ فتح عينيه على الكون وهو يصارع من اجل البقاء– أكثر ما يضره أن يصطدم بقضية شائكة ولا يوفّق في الالتزام بها او التعبير عنها بأكثر من مجرد شعر، باعتبار أنّ هذا الفرد هو كتلة إحساس صقلتها الظروف والأزمات المتتالية.

---

[21]–عزالدين إسماعيل،الشعر في إطار العصر الثوري، ص:45.

[5]–احمد قبّش، تاريخ الشعر العربي الحديث، ص:601.

الانتماء إلى الوطن:

الانتماء هو الانتساب، يقال فلان ينتمي إلى حزب سياسي فهو منتم إليه.

وان تنتمي إلى وطنك فأنت ملزم بحبه، وان تلتزم بحب وطنك فأنت حتما تنتمي إلى تراب أرضه الطاهرة، فالوطن الذي نعيش في كنفه يلزمنا الحفاظ عليه وحبه، لان محبة الوطن هي "بعد من أبعاد النزعة الإنسانية التي لا تكون حقيقية إلا إذا بنيت على محبة الأوطان(...) والانتماء الوطني والقومي لا يتنافى مع التسامح والإخاء الإنساني فلا تعصب ولا تمييز ولا استعلاء"[23]وهذا ما يحيلنا إلى أن حب الوطن يبدأ من القيم الإنسانية التي تعلي شان الإنسان وتخوّل له العيش بين إخوانه في محبة وتسامح ، وهي قديمة جدا وليست ضربا من الاكتشاف فمنذ وجد الإنسان وجد معه حبه لوطنه.

يقول محمود درويش في قصيدته "وطن":

علقوني على جدائل نخلة

واشنقوني فلن أخون النخلة

وطني ليس حزمة من حكايا

ليس ذكرى وليس حقل أهلّة

[23]–فيصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص:65.

هذه الأرض جلد عظمي

وقلبي...فوق أعشابها يطير كنحلة[24]

انه الوطن الذي لا يخان ولا يترك ولا يذل أبدا فالشاعر الذي ينتمي إلى وطن أحبّه بكل جوارحه لكن ظروفا صعبة قد غيّبته عنه لا يملك سوى أن يتغنى بحبه له ولو من بعيد فهو"أسير الغربة، يغرق في بحر المحبطات، وقد اقصته البحار عن وطنه فيشتد شوقه وتعلقه بهذا الوطن ويزيد حنينه لأنه عانى مرارة الغربة ولوعة الاشتياق"[25]. وهذا المولع بفلسطين الراحل"محمود درويش" يروي حكاية حبه لوطنه ويخبره انه مهما كان أو يكون سيحبه دائما وأبدا فيقول:

تكبّر......تكبّر

فمهما يكن من جفاك

ستبقى بعيني ولحمي ملاك

وتبقى كما شاء لي حبك أن أراك

نسيمك عنبر

وأرضك سكر

[24]–محمود درويش، ديوان محمود درويش،دار العودة،بيروت–لبنان،ط13–1989، ص:235–236.

[25]–فيصل سالم العيسى،النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية، ص:82.

واني احبك.............أكثر[26]

إن الحنين إلى الوطن هو وليد حب تراكم في قلب الشاعر المولع بوطنه والمشتاق إليه لا لشيء سوى لان انتماءه إليه هو الدافع الأول والأخير وهذا الحنين"مرتبط بحرية الفكر والإرادة وبإحساس الإنسان بوجوده الأصيل وتحقيق ذاته وهذا يرتبط بالنزعة الإنسانية"[27] وهذا إن دلّ على شيء فإنما يدل على الوعي الكامل الذي يتمتع به الشاعر تجاه قضايا أمته، وهو ذلك الإحساس الذي يربطه –وبشكل بديهي– بأصله ويجعله يحن إليه فالرجوع إلى الأصل فضيلة. انه انتماء بامتياز.

أما إذا خصصنا من الأمة العربية ذلك الجزء النابض في كيانها والذي ينتمي إليها وهو "فلسطين" لوجدنا انه منذ نكبة1948" بدأت مفهومات جديدة تتحرك في الوجدان الجماهيري على المستوى العربي وظهر مفهوم القومية العربية والوحدة العربية"[28]. فحديثنا عن النكبة هو استنطاق لضمير حي يعلوه الجبن ويغلبه الخوف، وأثناء وقوفنا على قضية"الانتماء" تقفز إلى أذهاننا صورة الشاعر الفلسطيني الذي عاش الجراح بكل أعماقها وتيهاتها المبررة وغير المبررة. وقد كان هؤلاء الشعراء"يعبرون بكلماتهم الثائرة عن ضمير الامة ووجدانها، ورفضها الكيان

---

[26]–محمود درويش، الديوان،ص:243.

[27]–فيصل سالم العيسى، النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية،ص:82.

[28]–المرجع نفسه ص:46.

الصهيوني وكانوا يعبرون عن التحامهم بالأمة العربية برغم الفصل القسري الذي يعانونه"[29].

يقول درويش:

من رموش العين سوف أخيط منديلا

وانقش فوقه شعرا لعينيك

واسما حين اسقيه فؤادا ذاب ترتيلا

يمد عرائش الأيك

سأكتب جملة أغلى من الشهداء والقبل:

"فلسطينية كانت، ولم تزل""[30]

فرغم المأساة مازال الشاعر يحفر اسم وطنه حتى في رموش العين ويعتز بكونه ينتمي إلى هذا الوطن، انه مازال ثابتا في خطاه يرجو التغيير ويحاول البحث عن سبب أجمل للعيش غير فلسطين لكنه لا يجد. وهو دائما" يزاوج بين ارتباطه بقضيته القومية المحددة والعوالم الإنسانية الكبيرة والتطلع الإنساني إلى الحرية والعدالة والجمال"[31].

[29]–صالح أبو أضبع،الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة،المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت–لبنان،ط1–جانفي–1979، ص:16.

[30]–محمود درويش، الديوان،ص:82.

[31]–عبد القادر القط، في الأدب العربي الحديث،دار غريب، القاهرة، مصر–2001–ص،32.

ولم ينس الشاعر الفلسطيني الملتزم بقضيته انه ولد إنسانا قبل أن يكبر شاعرا ومن رحم أوجاع هذا الوطن تمخض ذات يوم رغم المأساة وإذا كان جزءا لا يتجزأ من أمته ويجري عليه ما يجري على إخوانه "فهل يحق لنا أن نطلب منه أن يسجل غيابه ثم نطلب منه وقت السلم أن يطل علينا بغنائه؟"[32].

فالشاعر الذي انتمى يوما إلى تراب ارض طاهرة هو ملزم -لا محالة- بالذود عنها إذا لم يستطع بالرصاص فسلاحه هو القلم، فالشاعر الملتزم بقضية مصيرية"يواجه موقفا دقيقا يقتضي أن يحقق توازنا معقولا بين ما تتطلبه مواقف هذه القضية من حرارة في القول وحماسة في التعبير ونبرة عالية في الإيقاع وما يتطلبه الفن من عمق واعتماد على ما للألفاظ والصور الشعرية من ظلال وقدرة على الإيحاء"[33].

وهذا الالتزام يحمل من دون شك رغبة في الانعتاق من كل قيود العبودية المسلطة على الفكر والجسد معا. وان كان في حقيقته التزاما معنويا مجردا.

3-الوطن بين الوطنية والقومية

[32]-احمد مزدور، الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر، مكتبة الآداب ، القاهرة، مصر ط1-2005-ص:6.
[33]-عبد القادر القط،في الأدب العربي الحديث، ص:31.

في عنصر سابق تطرقنا إلى مفهوم الوطن في اللغة والاصطلاح وذكرنا انه المكان الذي يولد فيه الإنسان ويحبو فوق ترابه ،هذا الوطن المصغّر، وهناك الوطن القرية الذي يعيش فيه الإنسان ويتخذه وطنا رفقة أهله وناسه. والقرية هي"طبيعة صافية وهي صورة الحرية والانفلات من القيود والحواجز التي تقف بوجه الإنسان"[34]، ثم تطور مفهوم الوطن ليصير البقعة الواسعة والمساحة الكبيرة التي تضم شعبا بأكمله يربطه تاريخ ودين وسيادة.

أما عن الوطنية فإنها ذلك الإحساس بالمسؤولية تجاه الوطن ، فالكلمة أصلا مشتقة منه ما يعني أن البذرة الأولى لهذا الإحساس هي حب الوطن والعمل من اجل بنائه. فحب الوطن–كما ذكرنا سابقا– هو تلك الرابطة العاطفية القوية التي تجعل الإنسان في ارتباط شديد مع وطنه ويشعر انه مستهدف في ذاته كلما تعرض الوطن لأذى أجنبي، هو بالنسبة إليه أكبر من مجرد رموز يرفعها أو شعارات يرددها انه الروح التي تسكن جسده ومستعد لبذل الغالي والنفيس من اجلها.

الوطنية هي اللحظات التي يعود الفرد فيها إلى وطنه بدموعه ويرمي أحماله عليه فيقاسمه الحزن قبل الفرح. وهي اللحظة التي يكون الإنسان فيها متعلقا بوطنه وإذا نزعوا عنه حبه–وهو شيء مستحيل– كأنهم نزعوا عنه قطعة من قلبه، وهي ألاّ ينتظر الإنسان مقابلا من وطنه مهما تعب من اجله.

[34]–حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث،اربد،الأردن–2006–ص:29.

أما عن القومية فان الحديث يطول ويحيلنا إلى البحث عن مفهومها ومدلولها الذي لا يأخذ بعدا واحدا بل هي متعددة الأبعاد والمواقف. وهي مصطلح متشعب يصب في أكثر من معنى، مشتقة من القوم أي جماعة من الناس لهم مقومات متميزة يشتركون فيها،ومن التعريفات الاصطلاحية التي حاولت تحديد معنى القومية التعريف الذي "اتفق عليه كل من "رينان(Renan) و"باري"(Barre) حيث ينظر إلى الأمة على أنها كائن عضوي اي عبارة عن روح أو مبدأ روحي ينبعث من تاريخ الإنسان وطبيعته. أما "هكسلي"Huxle و"هدون" Haddon يعرفان الأمة على أنها مجتمع ألّف بينه اعتقاد مشترك بالنسبة لأصوله ومشاعر عدائية مشتركة بالنسبة لجيرانه"[35].

فقد اتخذت القومية هنا مفهوم الأمة التي اعتبرت مجتمعا جمع بين أفراده معتقد واصل واحد ومشاعر مشتركة.

من جهة أخرى "عرّف الايطالي"مانشيني"Mancini القومية بأنها: مجتمع طبيعي من البشر يرتبط بعضه ببعض بوحدة الأرض والأصل والعادات واللغة من جرّاء الاشتراك في الحياة وفي الشعور الاجتماعي"[36]. وهذه هي السمات والعناصر الأساسية للقومية متمثلة في: المجتمع الواحد–وحدة الأرض–الأصل–العادات–اللغة–الحياة–الشعور الاجتماعي.

[35]–بويد شيفر،ترجمة،عدنان الحميري،القومية–دار مكتبة الحياة،بيروت،لبنان،1966،ص:70

[36]–ساطع الحصري،ما هي القومية،دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، 1963،ص:40.

أما على الصعيد العربي، فقد حاول العديد من المفكرين –خاصة دعاة القومية العربية– وضع مفهوم محدد للقومية يتناسب والحالة العربية الراهنة ومن هذه التعريفات تعريف الدكتور: جورج حنّا حيث يعرّفها بأنها"عقد اجتماعي في شعب له لغة مشتركة وجغرافية مشتركة وتاريخ مشترك ومصير مشترك ومصلحة اقتصادية مادية مشتركة وثقافة نفسية مشتركة، وهذا العقد يجب أن يكون فيه كل هذه المقومات مجتمعة"[37]

فالشعور بالقومية هو الشعور بالاختلاف والانفراد بسمات ومقومات ذاتية وتاريخية وجغرافية مع أبناء الوطن الواحد وبلوغ أعلى درجات التوحد والتعالي على مختلف أشكال التمزق والانقسام، ومع مرور الزمن وتطور المجتمعات توسع مفهوم القومية من مجرد دلالة عن قوم إلى جماعات ثم مدن وبعدها أوطان بأكملها، وصارت قومية الشعب تعبير عن مجموعة الصفات التي تؤلف بين أفراده وتكون منهم امة متحدة في: الوطن واللغة والثقافة والتاريخ والأهداف والمصالح المشتركة. والشعور بالانتماء للوطن والعمل وفق هذه الفرضية.

وإذا جاز لنا أن نتحدث عن العلاقة بين الوطن والوطنية والقومية، فإننا نتحدث عن الفروق التي تميز كل منهم على حدة. فالوطن بمفهومه المادي الملموس هو مساحة الأرض أو المنطقة التي يعيش فيها الشعب إمّا مهاجرا إليه أو مولودا فيه. أو تلك الأرض التي ورثها عن آبائه وأجداده فكبر فيها وترعرع بين أحضانها.

[37]–جورج حنّا، معنى القومية العربية–دار الثقافة، بيروت، لبنان ص:21.

وأمّا بمفهومه المعنوي فهو المنطقة التي يرتبط الإنسان بها ارتباطا تاريخيا ولا يمكن في أي حال من الأحوال أن ينسلخ منها ، ففي هذه المنطقة تولدت هويته الوطنية وولدت فيها أمته. فهو المعبر عن الانتماء لا جغرافيا فحسب، بل تاريخيا ونفسيا أكثر. انه يكبر تبعا لطبيعة تفكير الإنسان وثقافته ومعاناته في الحياة. يقول احمد شوقي:

وطني لو شغلت بالخلد عنه نازعتني إليه في الخلد نفسي

وقدم المرء يجب أن تكون مغروسة في وطنه وعيناه تجوب كل العالم لتستكشفه، انه حب الوطن الذي تدعو إليه الأديان والثقافات المختلفة ، الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يوم أخرجه المشركون عنوة من مكة المكرّمة ودّعها بقوله: "ما أطيبك من بلد واحبّك إليّ، ولولا أنّ قومي أخرجوني منك، ما سكنت غيرك" فرغم الاضطهاد الذي لاقاه فيها إلاّ أنّه بقي محافظا على حبه وولائه لها.

والوطنية هي الشعور بالولاء لهذا الوطن، تتمثل أساسا في المواقف الايجابية والمؤيدة للوطن من قبل الأفراد والجماعات وتشمل الفخر بالثقافة والرغبة في الحفاظ على تلك الثقافة ، إضافة إلى أفعال رمزية كاحترام رموز السيادة في الدولة كالعلم والنشيد......الخ. وهي نسبة مؤنثة للوطن، ما يعني ان الارتباط بينهما وثيق جدا وهي لا تتحدد بكونها تعبيرا عن الانتماء والولاء فقط، بل تتحدد عمليا في التصرفات التي يبديها الفرد في الحفاظ على قطعة الوطن التي يعيش فيها وافتدائها بالنفس والنفيس.

يقول محمود درويش:

أورشليم* التي ابتعدت عن شفاهي.....

المسافات اقرب

بيننا شارعان، وظهر اله

وأنا فيك كوكب

كائن فيك، طوبى لجسمك المعذب[38]

مهما أبعدوا الفرد عن وطنه يبقى دائما قريبا إلى قلبه، وكلما ابتعدت الشفاه عن جبينه صارت المسافات اقرب.فالوضع الذي آلت إليه الأمة العربية يحتم على كل عربي أن يمارس وطنيته بالحفاظ على قطعة من قلبه تسمى "وطن" سواء أكان شابا أو شيخا وإذا كان شاعرا أو مثقفا أو عالما أو حتى أميّا. والوطنية شعور يولد الإنسان به بمجرد أن يشم ريح وطنه ويتعلم فقط كيف يخدمه حيث يصبح من الصعب عليه أن يفارقه أو يهاجره أو يترك للأعداء فرصة للنيل منه.

[38]–محمود درويش، ديوان محمود درويش،ص:291.

وأما القومية فإنها واقع له وجود حقيقي وفعّال في جميع مستويات الحياة الاجتماعية للشعوب، فمعظم الناس يعترفون بانتمائهم إلى قومية ما ويقصدون أنّ ثمة قاسما مشتركا يجمعهم مع غيرهم من مواطنيهم.

والفرد العربي قومي خالص منذ القدم"فقد يبدو للوهلة الأولى انه ما كان يعرف ضمن حدود حياته أفقا أوسع من قبيلته، وانتماء ابعد منها (.....) وعلى الرغم من كونهم قبائل متعددة فقد ربطت بينهم وحدة معينة تجلت في النسب الواحد والأرض والوحدة في الطقوس الدينية"[39] ما يعني أنّ العرب منذ القدم يمارسون القومية وفقا لمجموعة من المقومات والعناصر ويشتركون فيها. كذلك فيما نراه في اتفاقهم حول"الامتناع عن القتال في الأشهر الحرم(محرم،رجب،ذي القعدة،ذي الحجة) وهو دليل على اجتماع كلمتهم على أمر وكذلك في أحلافهم صورة من صور الانتماء القومي، فكثيرا ما كانت تتّحد القبائل بقصد التضامن والتآزر والدفاع عن النفس"[40].

فالقومية تتحدد بمدى ارتباط الفرد بوطنه وقبيلته وقومه ومنه يمكن أن يساعد في البناء، ذلك لان القومية تشكل ركيزة أساسية في خلق الشعور بالتضامن الاجتماعي وتؤدي إلى اندماج الفرد في المجتمع وتأكيد شعوره بالانتماء إلى جماعة معينة.

من خلال ما سبق يمكن أن نستنتج أنّ العلاقة بين الوطن والوطنية والقومية هي علاقة متأصّلة ومتجذّرة لا يمكن الفصل فيها، فالمواطن مهما كانت جنسيته أو جنسه هو فرد يعيش في

[39]–احمد إسماعيل النعيمي، مقالات في الشعر والنقد والدراسات المعاصرة،ص:68.

[40]–المرجع نفسه ص،68.

رقعة جغرافية لها مميزاتها ، يحبها ويحافظ عليها وهذه الرقعة هي الوطن وشعوره بالانتماء إلى هذا الوطن يجعله يفتخر به ويعتز بكونه فردا منه فيمارس طقوس حبه على طريقته، ويعيش منتظرا فرصة لافتدائه . كل هذه المحبة هي الوطنية الخالصة. فبانتمائه إلى وطن يحبه ولا يستطيع الانسلاخ عنه هو يتبادل أطراف الحياة مع أفراد آخرين في شكل مجموعات تجمعها وحدة التاريخ والأصل والتراث والثقافة واللغة. وهذه هي القومية ومثال ذلك القومية العربية وهي الإيمان بان الشعب العربي شعب واحد يؤمن بالعروبة كعقيدة ناتجة عن تراث مشترك، هي ليست رابطة دم وعرق بل رابطة سيادة وتاريخ واحد يتقاسمه كل العرب.

4-العلاقة بين:الوطن والشعر والسجن:

الوطن والشعر والسجن هي كلمات حروفها قليلة لكنها إن دلت على شيء إنّما تدل على معان كثيرة، فالرابطة التي تجمع بينها هي التي تضع الإنسان الشاعر في مواجهة حقيقية مع مشاعره ذلك لأنه أكثر الأفراد إحساسا بواقع وطنه، فيوظف مشاعره في مكانها المناسب ويحسن انتقاء الألفاظ ،والتلاعب بالصور بالكيفية التي تمكنه من التعبير عن الوضع الراهن.

والوطن بالنسبة إلى الشعر يتعدى حدود الرقعة والديانة والجنس إلى ابعد من ذلك، هو يراه جوهرة نادرة لا تقدر بثمن، انه اطهر ما في الوجود. ولان الشاعر هو لسان حال قومه والمسئول الأول في التعبير عن قوميته وقضايا وطنه، فكيف يتبادل علاقات التأثير والتّأثّر مع هذا الوطن؟ وإذا خصصنا من الشعراء أولئك الذين ذاقوا ويلات السجون وظلماتها، فهل كان الوطن بالنسبة للشاعر سببا في سجنه؟، أم أنّ السجان طبق الحكم بالسجن من خلال كتلة مشاعر تجسدت في قصيدة؟من هنا كان لابدّ من الحديث عن العلاقة المتعدية لكل من الوطن والسجن في علاقتهما بالشعر والشعور معا.

1-4: تأثير الوطن في الشعر:

إنّ الشاعر هو إنسان يعيش ضمن مجموعة من البشر يشاركهم الهموم والتطلعات فيتأثر كثيرا باهتزازات الذبذبة الإنسانية سلبا وإيجابا، ويشغله كثيرا حال وطنه سواء في حالة الحرب أو السلم، فأثناء الثورة يلعب الشاعر دور الخطيب الذي يذكي فتيل الثورة عن طريق قصائده. يقول درويش في حديثه عن الاحتلال الصهيوني:"أعرف أنّهم أقوياء ويستطيعون الغزو وقتل أيّ

شخص، غير أنّهم لا يستطيعون تحطيم كلماتي أو احتلالها"[41]. فهو يتحدى جلاده بالحرف والقلم.

فالشاعر يستطيع أن يحرض الشعب على القيام والمطالبة بالحقوق فيصبح بذلك قائدهم نحو الأمل. من هنا تتضح الرابطة القوية التي تجمع بين الوطن والشعر ذلك لان الوطن في كثير من الأحيان يكون دافعا لكتابة الشعر هذا الأخير الذي يعتبره الشاعر نزار قباني"الصورة والمثال للأمة، يتألق بتألقها ويشحب بشحوبها"[42] وهذا الارتباط العنيف هو الذي يدفع بالشاعر إلى أن يتجرد من واقعه المرّ ويدخل في دوامة الآمال والأحلام.

وبالعودة–دائما– إلى الواقع الذي يعيشه الوطن العربي تصادفنا ظاهرة بدأت بالتطور حديثا هي: شعر المقاومة الفلسطيني، وهذه الظاهرة "موصولة الأسباب بالحقبة القصيرة التي سبقت احتلال فلسطين وإزالة هويتها العربية"[43]. من هنا يصبح الوطن قضية شائكة تستدعي قول الشعر من اجل إثبات حقيقة أنّ فلسطين وطن له هويته التي لا تزول ولا تموت.

ويتأثر الشاعر الفلسطيني أكثر من غيره "لأنه يحارب كيانا محتلا بأكمله، فهو يعبر عن تأثير المواجهة المباشرة مع هذا الاحتلال. فهو"يصف القمع الإسرائيلي وصفا لا نجد نظيره في أيّ شعر آخر. يقول توفيق زياد مخاطبا المحتل:

41–محمد إبراهيم، محمود درويش–حياته وشعره– دار الإسراء،عمّان ، الأردن،ط1،2009، ص:11.

42–نزار قباني، قصتي مع الشعر،ص:15.

43–إبراهيم خليل،مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث،دار المسيرة،عمان،الأردن، ط1–2003،ص:237.

أهون ألف مرة

أن تدخلوا الفيل بثقب الإبرة

وان تصيدوا السمك المشوي في المجرة[44]

في موضع آخر قد يكون الوطن دافعا للفخر والاعتزاز، حيث يكون الشاعر في موقف الواصف لوطنه، يتحدى من يذمها ويدافع عن مقوماتها. يقول عبد الوهاب البيّاتي:

مهما طال حوار البعاد

فستبقى بغداد

شمسا تتوهج

نبعا يتجدد

نارا أزلية

رؤيا كونية

لطفولة شاعر[45]

[44]– إبراهيم خليل،مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ص:239.

[45]–عبد الوهاب البياتي،ديوان بستان عائشة،دار الشروق،ص:40.

فهو يتغنى بجمال وطنه ، فمهما طال الدمار أو البعاد سيبقى وطنه "بغداد" شمسا تتبع من ذاته. وفي قصيدة أخرى بعنوان "البصرة"، يقول البياتي:

في كل العصور

مدينة الشعراء والعلماء

قاومت الغزاة

وبأكرم الشجر النخيل

وشطها كانت إلى الشعراء في معراجهم

زاد المعاد:

الشعر سر شبابها[46]

فالوطن هو الدافع الذي يؤدي بالشاعر إلى كتابة الشعر ذلك لان الشاعر هو ابن البيئة التي يعيش فيها، فيؤثر فيها ويتأثر بها وبأفرادها . فيتحول دوره من مجرد كاتب ينقل تاريخ امة بشكل فني، إلى ناطق باسم الشعب وكلماته هي السلاح الذي يمر به إلى قلوب الناس.

2-4: تأثير السجن في الشعر الوطني:

[46]– عبد الوهاب البياتي،ديوان بستان عائشة ص:65.

ورد ذكر السجن بداية في القرآن الكريم، في سورة يوسف في قوله تعالى:"قال ربّ السجن أحبّ إليّ ممّا يدعونني إليه"[47]. فهو مؤسسه إصلاحية تأديبية يدخلها الأشخاص المذنبون والخارجون عن القانون.

أمّا إذا كان المسجون شاعرا فإنّ الأمر يختلف كثيرا فهو لا يرى السجن مؤسسة عقابية لأنه عادة لا يكون مذنبا، بل مظلوما ومحكوما بالسجن بسبب كتاباته الشعرية. ويصبح الشاعر مذنبا إذا ناقش قضايا السياسة وتحدث بما لا يعجب الحاكم، حينها فقط يزج به في السجن لأنه يقول الحق سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

للسجن إذن تأثير كبير في الإبداعات التي يكتبها الشعراء داخل الزنازين المظلمة، فهو يزيدهم إصرارا .فمثلا شاعر الثورة الجزائرية "مفدي زكرياء" قد كتب معظم أشعاره داخل سجن بربروس إبّان الاحتلال الفرنسي للجزائر فقد"زج به في غياهب السجون يوم:28 أفريل1955"[48] ونظم أروع قصائده هناك. يتحدّى سجانه في قوله:

سيان عندي مفتوح و منغلق   يا سجن بابك أم شدت به الحلق

أم السياط به الجلاد يلهبني   أم خازن النار يكويني فاصطفق [49].

---

[47]–سورة يوسف الآية:33.

[48]– مفدي زكرياء، اللهب المقدس ، موفم للنشر، الجزائر 2009، ص:25.

[49]– المرجع نفسه ،ص :25.

فالسجن كان في كثير من المواضع حافزا للشاعر نحو كتابة أفضل الكلمات، وإن كانت تعبر عن حزنه الداخلي أو خوفه على وطنه.

من هنا تتجلى لنا العلاقة المتينة التي تربط بين السجن والشعر، إنّها علاقة وطيدة لا تنقسم. فالشاعر –كما سبق القول– هو لسان حال قومه والمتحدث باسمهم والسجن بالنسبة إليه تغيير لمكان السكن حسب المدة التي حكمت عليه، فمشاعره لا تتغير أبدا ومواقفه ثابتة تجاه وطنه، فالشيء الذي يتغير هو محل الإقامة. ولان الشاعر مولع بالطبيعة وعاشق لها، فان حبسه بين جدران الزنزانة هو حبس جسمي فقط لان روحه تبقى متعلقة دائما بالعالم الخارجي وما يجري فيه من أحداث.

يكتب الشاعر كلماته عن وطنه انطلاقا من تجربة عاشها أو عايشها فيه و" سرعان ما يحس أن مشكلاته الخاصة لا تنفصل عن مشكلات الناس"[50] فيخرج عن صمته ويتخلى عن بعض كبريائه من اجل وطنه، ويتحول بذلك إلى شاهد عيان على أحداث هذا الوطن.

من هذا المنطلق يمكن أن نتحدث عن ارتباط السجن بالشعر وما مدى تأثّر الشاعر بالجو الكئيب الذي تخلقه العتمة بين جدران الزنازين، فتجود قريحته بأجمل واصدق الكلمات التي تعبر عن حزنه.

[50]– عزالدين إسماعيل، الشعر في إطار العصر الثوري،–ص:12.

يبقى السجن سجنا مهما تغيرت أسماؤه أو أشكاله ، فهو منع من ممارسة الحرية والتمتع بها، ذلك لان الشاعر مثل عصفور طليق لا يمكنه العيش بين أحضان الزنازين وإلاّ صار حزينا كئيبا. وفي كثير من الأحيان يصبح السجن هو المهرب الذي يصقل في الشاعر موهبته ويعبر فيه عن أسمى عبارات الحزن والشجن. وإذا كان السجن لأسباب سياسية فان الشاعر يفضل الحياة فيه على أن يرى وطنه بين مخالب الظلمة والمستبدين، ويكتفي فقط بالمراقبة عن بعد.

يستحق الوطن فعلا أن نضحي بحياتنا من أجله، فهو القطعة الأكثر صفاء في قلوب أبنائه مهما دنسته أقدام الظلمة أو عبثت به أيديهم. وحبه هو الغريزة التي يولد الإنسان بها ويكبر محافظا عليها وحاميا لها.

الفصل الثاني: تمثّلات الوطن في شعر محمود درويش

1: محمود درويش: شاعر الأرض المحتلة.

2: تمثلات الوطن لدى محمود درويش:

- ✓صورة الوطن الأم
- ✓صورة الوطن الحبيبة
- ✓صورة الوطن الموت
- ✓صورة الوطن السجن
- ✓صورة الوطن الغربة
- ✓صورة الوطن المفقود
- ✓صورة الوطن الأمل

الفصل الثاني: تمثّلات الوطن في شعر محمود درويش

1: محمود درويش: شاعر الأرض المحتلة.

2: تمثلات الوطن لدى محمود درويش:

- ✓ صورة الوطن الأم
- ✓ صورة الوطن الحبيبة
- ✓ صورة الوطن الموت
- ✓ صورة الوطن السجن
- ✓ صورة الوطن الغربة
- ✓ صورة الوطن المفقود
- ✓ صورة الوطن الأمل

1:محمود درويش: شاعر الأرض المحتلة

من خلف ثقب الروح المشتاقة للحرية تطل علينا أسمى عبارات الحزن والخوف وتغتال حاسة الشم لدينا رائحة الدماء والرصاص. وبالعودة إلى أصل الذكرى تقابلنا صورة وطن موجوع جرحه ينزف منذ قرن من الزمن، وصوته يأتي مبحوحا من بوابة بعيدة بعدك عن العين يا "فلسطين". وفي غفلة من الماضي مد إلينا شاعرنا المعذب "محمود درويش " بمخطوطات حزنه ، فصوره لنا يتيما ولد ليقهر وأما وجدت لتثكل وصبية كبرت لتقتل وجنديا حارب ليعيش اعزل. وأهدانا صورا لوطن تربى على أرضه جيل غاضب ، جيل القذيفة والحجر، جيل لا يعرف الذل ولا يرض الهوان.

محمود درويش الشاعر الغاضب والثائر والمحارب بالقلم، استطاع أن يخترق كل جدران الطوب والفولاذ وان يوسع دائرة الأمل في نفوس الشعب الفلسطيني، كما استطاع –بفضل إرادته القوية– أن يثبت هوية شعره العربية أولا والفلسطينية ثانيا. تلك الهوية التي لا يتنازل عليها للغريب إذ يقول:

سجّل أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألف

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم سيأتي بعد صيف

فهل تغضب؟[1]

[1]–محمود درويش،الديوان،دار العودة،بيروت–لبنان،ط13،1989–ص:73.

انه يذكر مغتصبه بعروبته ويتحداه ويتمرد عليه ، يخاطبه بلغة فصيحة جريئة: "سجّل" ولا تنس أبدا انك إذا قتلتني سيأتي ملايين غيري، فسيّان عندي غضبك أو رضاك.

إنّ شعر محمود درويش" هو ظاهرة لافتة شكلت على مدى سنوات طويلة عطاء لا ينضب ذلك لان "درويش" بالذات هو معجزة شعرية تمخضت عن تجربة مريرة تجاوزت حدود الواقع الزماني والمكاني وحلّقت في سماء الإبداع حتى أوجدت لنفسها مكانا بين صفوف الشعراء العظام.

وقد مرّ عطاء "درويش" بمراحل عديدة."ففي المرحلة الأولى كان متمثلا شعر غيره من الشعراء الكبار، حينها صدر ديوانه **(عصافير بلا أجنحة 1960)** والمرحلة الثانية يمثلها ديوان**(أوراق الزيتون1964)**(.....)حيث اتسم شعره في هذه المرحلة بالنضج والتطور فيبدو أكثر رقة واقل مباشرة وابتعد فيه عن الخطابة والصوت الصاخب"[1].

وبعد هاتين المرحلتين بدا "درويش" في رسم الخطوط العريضة لمشواره الشعري وبرزت على كتاباته ملامح النبوغة في أدب المقاومة الفلسطينية لأنه استحق –وبجدارة– أن يكون شاعر الأرض المحتلة والمتحدث الرسمي باسم شعبها. ولم يتوقف عطاؤه عند هذين الديوانيين بل انه شق طريقه دون خوف أو يأس، "ففي المرحلة الممتدة بين:**1966–1970** اخرج إلى النور أربعة دواوين:**عاشق من فلسطين، آخر اللّيل، العصافير تموت في الجليل،حبيبتي تنهض من نومها** وتعتبر هذه المرحلة الأخيرة من شعر درويش داخل الأرض المحتلة"[2].

---

[1]–علي مولا،الأعمال الشعرية الكاملة لمحمود درويش، مكتبة الإسكندرية،مصر،ص:5.

[2]–المرجع نفسه، ص:5.

واصل درويش مسيرته الشعرية بحزم وعزم، وتعدى حدود الرقعة الفلسطينية إلى المستوى العربي والعالمي، هدفه الأول والأخير هو تدويل القضية الفلسطينية وإعادة دورة الحياة إلى الضمير العربي الذي مات بفعل التخذيرات اليهودية المتواصلة والتي تهدف إلى طمس الهوية الفلسطينية وتزوير التاريخ ودفنه داخل سور حديدي استطاع درويش من خلاله أن يعيد الأمل، أن يصوّر الحياة داخل الأسر وان يصف حالة الحصار المطبق على الحريات فيقول عنه،" لم تكن لدي طريقة مقاومة إلاّ أن اكتب، وكلما كتبت أكثر كنت أشعر أنّ الحصار يبتعد، وكانت اللغة وكأنها تبعد الجنود لان قوتي الوحيدة هي قوة لغوية"[1]. ويقول في ديوان: حالة حصار:

بلاد على أهبة الفجر

صرنا اقل ذكاء

لانا نحملق في ساعة النصر

لا ليل في ليلنا المتلألئ بالمدفعية

أعداؤنا يسهرون

وأعداؤنا يشعلون لنا النور

في حلكة الأقبية[2]

لم يكن درويش يوما خارج القضية بل انه تنازل عن أشياء كثيرة في حياته من اجلها، حتى يبقى وفيا لفلسطين فقط ومحبا له ومحافظا على الحياة فيه ....الحياة حتى آخر قطرة:

---

[1]–محمد إبراهيم، محمود درويش–حياته وشعره– دار الإسراء، عمّان، الأردن،ط1،2009–ص:8.

[2]–محمود درويش، حالة حصار، دار رياض الريّس، بيروت، لبنان–ط2 ص:10.

وان قال لي ثانية: ستموت اليوم

فماذا تفعل؟ لن احتاج إلى مهلة للرد

إذا غلبني الوسن، نمت..........

....

وإذا كنت اضحك اختصرت ضحكتي

إلى النصف احتراما للخبر

فماذا بوسعي أن افعل غير ذلك

حتى لو كنت أشجع من أحمق

وأقوى من هرقل[1]

لن يغادر أرضه حتى يعيش على ترابها الحياة حتى آخر قطرة. هذا هو الشاعر الفلسطيني الذي آثر الشعر والقضية على خصوصياته، يقول عن نفسه:"...لن أتزوج، إنني مدمن على الوحدة(....) ما احتاجه استقرار أكثر(...) الشعر محور حياتي، ما يساعد شعري افعله، وما يضره أتجنبه"[2]. فالشعر حياة أخرى يعيش درويش نشوتها في جو من الوحدة والانفراد والعزلة.

لقد ناضل درويش كثيرا من اجل البقاء، فهو كائن عربي فلسطيني ، ولد ليحارب بالقلم، وخلق ليحمي ما تبقى من حصاد أجداده وما خبئوه للغد الجريح. فعاش طفولة مبهمة تعلق خلالها بأطراف القضية و"بدأ وعيه بها يتشكل انطلاقا من وعيه ببعض الكلمات التي شكلت إحساسه

---

[1]-محمود درويش، اثر الفراشة، دار رياض الريّس، بيروت، لبنان، ط2،2009-ص:130-131.

[2]- محمد إبراهيم، محمود درويش-حياته وشعره- ص:17.

بالأرض حين كان لاجئا فلسطينيا وسرقت منه طفولته"[1] فاغتيل مبكرا وصرخ من أعماق الجرح طويلا وقرّر بعدها أن يهب حياته لهذه الأرض، أن يعيش المأساة بكل قوانينها الصارمة وان يتعلم العيش رغما عن انف جلّاده.

مرّت سنوات العمر سريعا ودرويش يتنقل بين المدن والعوالم فمرة كان لاجئا يحلم بالعودة لان"الأمل في العودة هو ما كان يدفعه دائما للمقاومة والدفع إلى النضال"[2] ومرات كان منفيا وحتى حين عاش في فلسطين عاش غريبا، فشاعر مولع بوطنه مثل "محمود درويش" لا يستطيع أن يعيش خارج أسوار فلسطين، انه متشبث بالأرض التي عاش عليها وورثها عن آبائه وأجداده، ونضاله كان دائما لكي يثبت أنّ الهوية الوطنية لا تهدى إنمّا تسري في العروق، والوطن هبة من الله خلق الإنسان فيه كي يحبه لا كي يتخلى عنه للغرباء:"لم يفهموا، أنا عربي، جنسيتي غير محددة ، أحمل وثيقة سفر إسرائيلية ولذا رجعت"[3].

من جهة أخرى كان "درويش" يؤمن بلغة الحوار مع الإسرائيليين رغم انه يرفض العيش معهم في ارض واحدة، فالحكيم هو الذي لا يرد الإساءة بالإساءة بل يبحث دائما عن الأسباب التي تجعل عدوه كارها له ويحاول مساعدته، كذلك هو "درويش" فهو بحكم هويته العربية التي اختلطت في دمها الحضارات لا يريد أن يحتكر شيئا لنفسه ولا يفكر في الماضي بل همه الوحيد هو أن يعيش الحاضر الممزوج بالمستقبل بسلام إذ يقول:"أنا نتيجة مزيج حضارات ماضي فلسطين لا احتكر التاريخ والذاكرة والرب كما يريد الإسرائيليون أن يفعلوا، إنهم يضعون الماضي

---

[1]– محمد إبراهيم، محمود درويش–حياته وشعره ص: 3.

[2]–المرجع نفسه ص:7.

[3]–المرجع نفسه ص:13.

في ساحة المعركة"[1] فالحقد الدفين الذي يكنه اليهود للعرب هو ما حرك فيهم نزعة القتال والحرب ويقول درويش: "لا أحب أن نتقاتل على الماضي ولندع كل واحد يروي سرده كما يشاء ولندع السردين يجريان حوارا، وسوف يبتسم التاريخ"[2]. انه الصراع العربي – الإسرائيلي الذي لن ينتهي ، فكل منهما يرى نفسه الأحق بأرض فلسطين ودرويش يقف بينهما يريد من التاريخ أن يثبت الحقيقة.

وصلت شهرة "درويش" أوجها داخل فلسطين وخارجه واستحق أن يكون شاعر المقاومة بامتياز، وصار شعره جزءا من المنهاج الدراسي، فتورطه في مسألة أخرى هي الثقافة سيعزز مكانته ويمنحه نصرا اكبر على جلّاده، وفي مقابل ذلك يعيش الشعب الإسرائيلي حياتا بطعم الرعب والخوف من شعر كتبه درويش برموش عينيه، ويعترفون انه " فقط مجتمع يريد الانتحار يضع شعر درويش في منهاجه الدراسي"[3]. من جهته يقرّ درويش أن شعر المقاومة الفلسطيني هو الذي منح هذا الوطن تذكرة نحو الخارج وصاغ له تاريخا مغايرا لما يدّعيه اليهود فيقول:" يدرّسون الطّلاب أنّ البلاد كانت فارغة وإذا درسوا الشعراء الفلسطينيين فسوف تتحطم هذه المعرفة"[4].

لقد تمكّن "درويش" وعلى مدى عمر من الزّمن أن يبني مدرسة شعرية استمدت قوتها من الأجيال التي سبقتها زمنيا وفنيا وقد "ارتبطت اشد الارتباط بحركة النضال في فلسطين وبشعراء

---

[1]– المرجع نفسه – ص:21.

[2]– محمد إبراهيم، محمود درويش–حياته وشعره ص:21.

[3]–المرجع نفسه ص،22.

[4]–المرجع نفسه ص:22.

هذه الحركة النضالية"[1] حيث تأرجح شعره بين الحزن والأمل والتفاؤل والغضب والتمرد، استطاع أن يفتكّ لقب الشاعر المناضل وذلك لكونه "واحد من أجمل واصدق الأصوات الفنية المعبرة(.....) في الشعر العربي الفلسطيني....فهو خلاصة نقية أصيلة لمرحلة التفاؤل الثوري"[2].

آمن "درويش" طيلة مشواره الشعري بمبدأ مفاده أن الظلم لا يدوم وانه سيأتي يوم ترد فيه الحقوق إلى أصحابها ويعود فيه الشعب إلى أرضه ، ولم يراوده حلم منذ طفولته المذبوحة اكبر من حلم العودة يقول في قصيدة بعنوان: "عن إنسان" من ديوان"أوراق الزيتون:

يا دامي العينين والكفّين

إن اللّيل زائل

لا غرفة التوقيف باقية

ولازرد السلاسل

نيرون مات، ولم تمت روما

بعينيها تقاتل

وحبوب سنبلة تموت

ستملأ الوادي سنابل[3]

فهو يؤمن ايمانا تاما ان دوام الحال من المحال، ولكل طاغ اوان وكل الذي مضى من تعذيب وقتل وتنكيل سينتهي لا محالة ويمرّ كل شيئ، فكل قرية احرقت ستقوم اطلالها من جديد وكل شعب طرد سيعود ذات يوم الى ارضه.

---

[1]- رجاء النقاش، محمود درويش-شاعر الارض المحتلة- دار الهلال، ط2،1971-ص:54.

[2]-المرجع نفسه ص:91.

[3]-محمود درويش، الديوان، دار العودة، بيروت،لبنان-ط13-1989،ص:12.

هذا هو محمود درويش بكل ما يحمله الفلسطيني من غضب وثورة وتمرّد وحقد وكبرياء وجرأة كذلك بكل ما تحمله جيناته الوراثية من امل وتفاؤل وحب ونقاء وطيبة، هي ذي كروم اجداده تهديه نبيذا طاهرا وطيبا، وهذه الأرض المشرّشة في عروقه ولا تفارقه ابدا. فقد عاش طفلا بترت براءته قبل الاكتمال وحمل لقب لاجئ متسلل داخل وطنه، حارب الرشاش والدبابة بالقلم واهدى لوطنه الحبيب عطاء شعريا صوّر من خلاله مشاهد الحرب والسلم، انتقل بين سطوره من حياة الخوف والرّعب الى حياة الثورة والغضب ثم الى حياة اخيرة هي الامل والتفاؤل.

هذا هو محمود درويش بوطنيته المفرطة االتي اينما حلّ تحل معه ووطنه المغروس كوردة في قلبه، وكيفما عاش حمل على عاتقه وطنه "وطني على كتفي...بقايا الارض في جسد العروبة" وشعره هو ملحمة غنائية لدراما العودة الى اجل غير مسمى.

<u>2:صورة الوطن لدى محمود درويش:</u>

ارتبط مفهوم الوطن لدى محمود درويش بالواقع المرير الذي تعيشه الأمّة العربية عامّة وفلسطين خاصة. فمنذ نعومة أظافره وهو يرى وطنه قطعة بلّور تتفتت تحت نعال مغتصبه،

ومنذ أن فتق الفجر مقلتيه على فراش العائلة وفلسطين هي حلم درويش الذي لا يفارقه أبدا لذلك مثل هذا الوطن وعلى مدى سنوات محور حياته وقطعة من ذاكرته لا تزول.

وقد عاش المأساة الفلسطينية بكل أبعادها، فثار وتمرّد وبكى وهاجر وسجن وقتل صمتا بيد جلاده، حارب بالقلم من أجل قضية لا يعرف نهايتها. فالوطن لديه لا يمثل رقعة جغرافية لها حدودها ومقوماتها بل إنّه كتلة حية متكاملة سكنته مدى الحياة، وكان التعامل معها سلسا متوازنا لا يخضع لنظام الأولويات التي تبعد الشاعر عنها. وصار مفهوم الوطن لديه حسب قوله: " ليس حقيبة ولكنه أيضا ليس جبلا أو سهلا..إنّ وطني قضية يجب أن ندافع عنها من أيّ موقع ، ولست أوّل مواطن وشاعر يبتعد عن بلاده ليقترب منها، إنّني أشعر(.....) بنبض التربة التي أنبتتني وأشعر بمزيد من الأمل المبرّر والمشروع لأنّني أعيش وأعمل مع شعبي بالمفهوم الأوسع، لأني أدافع عن الخاص من موقع العام"[1].

ووطنه لا يقف عند حدود السفر ولا يتحدث عنه فقط من موقع الحاضر، بل إنّه يحمله معه دائما، لا تحده مسافات ولا ينتهي عند عاصمة أو دولة أو محيط. هو ذا وطنه بين ضلوعه لا بين صفحات جواز السفر:

يا سادتي ...يا سادتي الأنبياء

لا تسالوا الأشجار عن اسمها

لا تسالوا الوديان عن أمها

من جبهتي ينشق سيف الضياء

ومن يدي ينبع ماء النهر

---

[1]-رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة ص:270.

كل قلوب الناس......جنسيتي

فلتسقطوا عني جواز السفر[1]

في بداية الوعي الثوري" نحا درويش سبيلا اختص فيه بطرح المواضيع الوطنية القومية، كان الدافع إلى تبنيه إياها وجوده داخل الوطن المحتل(....) وقد امتازت هذه المرحلة الشعرية بنقل الأحداث الفلسطينية المغموسة في الهم العربي العام والتفاعل معها"[2] فتواجده داخل فلسطين مهّد له الدخول للحدث من أوسع أبوابه. هكذا بدأ وعي درويش يتبلور حول أهمية هذا الوطن الذي نبت من جزئياته ، مما جعله يمنحه صفات كثيرة ويضعه في أكثر من خانة تبعا للحالات النفسية التي يمر بها.

من هنا تجسد الوطن عند درويش في عدة صور:

<u>صورة الوطن الأم:</u>

عندما يتحول الوطن إلى أم وتصير الأم وطنا بأكمله، يجد الشاعر نفسه يشتاق إليها ويحن إلى صدرها ويحاول محمود درويش أن يصور لنا وطنه أما أبعدوه عنها عنوة. لقد وجد في الأم ضالته وعرف انه من دون أمه الوطن لا يستطيع أن يعيش، وقد أصبحت الماء والهواء والحياة وكل ما يحتاجه الشاعر في غربته.

عاش محمود درويش هذه التقلبات النفسية من خلال قصيدة: " **إلى أمي**" فيقول:

أحنّ إلى خبز أمّي

[1] -محمود درويش، الديوان،ص:356.

[2] -عمّيش العربي، محمود درويش-خيمة الشعر الفلسطيني- دار ألفا، قسنطينة، الجزائر، ط1، 2014-ص:35.

وقهوة أمي

ولمسة أمي...

وتكبر فيّ الطّفولة

يوما على صدر يوم

وأعشق عمري لأنّي

إذا متّ،

أخجل من دمع أمّي[1]

صار الحنين إلى أمه شيئا مقدسا يمارسه كلما أحس بضيق في الحياة، أو إذا أحسّ أن الدنيا لم تعد تسعه. هو غائب عن أمه "فلسطين" ويشتاق إلى أدق تفاصيل حياته فيها (الخبز –القهوة–اللمسة) هي كل ما يملك الغائب في صندوق ذكرياته والحياة بالنسبة إليه هي قمح(خبز) أنبتته الأرض وبنّ أخرجه باطن هذه التربة الطاهرة ولمسة من كف أمه تربّت بها على كتفه فينسى آلامه.

لقد حاول درويش أن يمزج بين الوطن والأم في صورة واحدة وبطريقة فنية رائعة ، فالوطن من جهة لم يعد –بالنسبة إليه– ذلك التراب الذي يعيش عليه، بل صار أما نام ذات يوم بين أحشائها وتربى بين ذراعيها وسيأتي يوم يعود فيه إلى باطنها. وكلما أقبلت صورتها تعود به الذكريات إلى

[1]–محمود درويش، الديوان،ص:98.

أيام الطفولة البريئة ، انه يخشى على أمه الوطن أن تحزن أو تبكي وتتعذب بفقدانه إذا مات بعيدا عنها.

وفلسطين هي أم تعودت أن تودع كل يوم قافلة من خيرة أبنائها، فالبعد صار شرّ لا بد منه، وأبناؤها تعودوا على منح الروح فداء لهذا الوطن الرائع. يواصل درويش سرد عذابه فيقول:

خذيني إذا عدت يوما

وشاحا لهدبك[1]

إنّه مستعد للموت ألف مرّة حتى يحمي أرضه، ويصبح لأجلها وشاحا يحميها من غدر الغزاة. يتحدث درويش عن القصيدة ويقول:" كانت اعترافا بسيطا لشاعر يكتب عن حبه لامه لكنها أصبحت أغنية جماعية(....) أنا لا أقرّر تمثيل أي شيء إلاّ ذاتي، غير أن تلك الذات مليئة بالذاكرة الجماعية"[2]. فقد صارت الذاكرة الجماعية الفلسطينية تختبئ في دهاليز نفسه المولعة بهذا الوطن الذي كان ومازال وسيبقى دائما قرّة عينه وروح قلبه.

غطّي عظامي بعشب

تعمّد من طهر كعبك

وشدّي وثاقي....

بخصلة شعر....

[1]–محمود درويش، الديوان، ص:98.

[2]–محمد إبراهيم، محمود درويش–حياته وشعره– ص:14.

بخيط يلوّح في ذيل ثوبك

عساني أصير إلها

اله أصير

إذا ما لامست قرارة قلبك[1]

هذه الكلمات هي إقرار من الشاعر أنّ موته في حضن أمه الوطن هي أشرف أمنية يسعى للوصول إليها، ويتمنى لو يشم ريح وطنه في طرف ثوب، وفي أعقاب خصلة شعر أو ارتفاع كعب، فقد يصير فجأة إلها إذا لامس أرضه وأحسّ بدفء قلبها واستنشق ريح ترابها الطاهر.

لهول ما عاش درويش من أحزن ومآسي، صار عمره قصيرا إذا ما قورن بسنوات أبعد فيها قسرا عن وطنه، فعندما احتل الجيش الإسرائيلي القرية التي ولد فيها(البروة) "التحقت عائلته بخروج اللاجئين الفلسطينيين (...) قضت العائلة عاما تعيش على عطايا الأمم المتحدة (...) ثم عادت العائلة بشكل غير شرعي لكنها وجدت البروة(...) قد دمرت"[2].

إنها الطفولة المعذبة تلك التي تفتح عينيها فتجد نفسها تائهة في وطن لا تعرفه وتكتب في لائحة "**اللاجئين**" ثم بين ليلة وضحاها تعود إلى وطنها بلقب جديد" لا شرعية". هذه هي طفولة محمود درويش التي قضاها بعيدا عن وطنه الأم، فكيف لا تجود قريحته الشعرية بكل ما يختلج صدره الدامي من مشاعر الحزن واليأس والحرمان؟. يقول في آخر القصيدة:

....

[1]– محمود درويش، الديوان محمود درويش،ص:99.

[2]– محمد إبراهيم، محمود درويش–حياته وشعره– ص:13.

لأنّي فقدت الوقوف

بدون صلاة نـهارك

هرمت، فردّي نجوم الطفولة

حتى أشارك

صغار العصافير

درب الرجوع

لعش انتظارك[1]

ما يعرف عن الأم أنها دائمة الدعاء لأبنائها كذلك هو درويش يفقد توازنه بدون هذا الدعاء، عمره يمر سريعا وهو يرى طفولته تؤخذ منه غدرا بعيدا عن وطنه الأم، ومسقط رأسه ومنبت قدميه.

هو ذا يصور وطنه الجريح أما فقد حنانها، صار يشتاق إليها و يراها صبية تغتسل كل صباح عند نهر أحلامه، ومازال يرى نفسه طفلا وديعا يحمل براءته على كتفيه ويرحل مرغما عن فلسطين، يسافر إلى اللاشيء ، إلى العدم ويعود إليها لاجئا مشتتا يبحث عن الأمان، ويتمنى لو أنّه يرمي بأحماله إلى هذه الأم التي أحرقتها نيران الثورة وتعودت –رغما عنها– على أكل أبنائها.

[1]–درويش، الديوان، ص:99.

لقد وفق درويش كثيرا في المزج بين صورة الوطن والأم واستطاع أن يعبر عن كثافة مشاعره بكلمات قليلة موحية تمكن من خلالها أن يكشف لنا ما يختلج في صدر اللاجئ الفلسطيني الذي حتّمت عليه الأقدار أن يعيش خارج دائرة الزمن وبالتوقيت الإسرائيلي. يقول درويش:"أحب الحياة على الأرض بين الصنوبر والتين لكنني ما استطعت إليها سبيلا، ففتشت عنها بآخر ما املك"[1]. هو لا يملك غير الكلمات التي تحمله على جناحيها وتضعه –مجازا– بين أحضان فلسطين. الكلمات التي بمجرد أن يربطها ببعضها البعض يرى في تلاحمها صورة الوطن الأم."فلسطـــين".

**** صورة الوطن الحبيبة:***

لقد تمنّى محمود درويش أن يجرّب لوعة الحبّ ولو مرّة واحدة إلّا أنّه قد فشل في أغلب المرّات ويعترف قائلا:"أحب أن أقع في الحب(....) عواطفي متقلبة وحين ينتهي الحب أدرك أنه لم يكن حبا، فالحب لا بد أن يعاش لا أن يتذكر"[2] .لكن تجربة الحب الناجحة في حياته هي حبه

---

[1]– محمد إبراهيم، محمود درويش حياته وشعره، ص:12.

[2]–محمد إبراهيم، محمود درويش حياته وشعره، ص:17.

لفلسطين ذلك لأن وطنه هو الحبيبة التي أبعده عنها القدر، وكتب عليه أن يعيش محروما منها ويتعذب لفراقها ويشتاقها كثيرا.

يقول درويش في قصيدة له بعنوان: **أحبّك أكثر:**

تكبّر.......تكبّر

فمهما يكن من جفاك

ستبقى بعيني ولحمي ملاك

وتبقى كما شاء لي حبنا أن أراك

نسيمك عنبر

وأرضك سكر

وإنّي أحبّك أكثر [1]

إنّه يتغزل بوطنه وكأنّه يعبر عن مشاعره لحبيبة طال غيابه عنها وأحرقت قلبه لوعة هذا الغياب، ويبدو أنّ حب محمود درويش لوطنه يزيد يوما بعد يوم، فمهما صار شكل الأرض أو عبير الهواء سيبقى حبه دائما أشرف ما في الوجود. انه الحب الأبدي الذي يربط درويش بالأرض ويدفعه إلى التغزل بوطنه وكأنه امرأة أمامه. وببراعة فائقة استطاع درويش أن يصور وطنه امرأة يزيد افتتانا بها كلما رآها ولم بعيد. وهذا الشعور ان دل على شيء إنما يدل على أنّ الرجل الثّائر هو عاشق كبير.

---

[1]–محمود درويش، ديوان محمود درويش،ص:243.

وقد اشتغل الشاعر الكبير نزار قباني شاعر الحب والسياسة على هذا المبدأ حيث يقول:"إنّ الذي يحب امرأة يحب وطنا(.....) والوطن قد يصبح في مرحلة من المراحل عشيقة أجمل من كل العشيقات"[1]. من هذا المنطلق يتضح لنا انه من الصعب الفصل بين الوطن والمرأة لأنهما جسدان بقلب واحد.

لم يمنع درويش من الحب، لكنه كان دائم الوفاء لحب فلسطين.ويقول في هذا الصدد:"ان القدرة على الحب هي شكل من أشكال المقاومة ، يفترض أن نكون نحن الفلسطينيين مكرسين لموضوع واحد: تحرير فلسطين(....) إذا كتبت قصائد حب فإنني أقاوم الظروف التي لا تسمح لي بكتابة قصائد الحب"[2]. انه اعتراف بسيط من شاعر وضع وطنه في خانة الحبيبة التي أصبح تغزله بها شكلا من أشكال المقاومة.

ويقول في مقطع آخر من القصيدة:

يداك خمائل

ولكنني لا أغني

ككل البلابل

فان السلاسل

تعلمني أن أقاتل

---

[1]–نزار قباني، الأعمال النثرية الكاملة،منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان،ط2،1999،ج7،ص:559.

[2]–محمد إبراهيم،محمود درويش حياته وشعره،ص:22.

لأنّي أحبّك أكثر[1]

يفترض به أن يكون أكثر قوة حين يقاتل من أجل حبيبته، يتحدى دويّ السّلاسل والقيود ويتعلم من خدشها كيف يمتص غضب جلاده من أجل وطن منحه ذات يوم لقب الحبيبة.

ينتهي درويش إلى المزج بين الحب والسياسة ، بين العشق والقومية في صورة زاوج من خلالها بين المرأة والوطن وأصبحت قصيدة الحب" قيثارة متعددة الأوتار تتآلف نغماتها فتجمع بين المعشوقة والوطن"[2]. ثم يعود درويش ويشرح جنونه بمحبوبته قائلا:

غنائي خناجر ورد

وصمتي طفولة رعد

وزنبقة من دماء

فؤادي،

وأنت الثرى والسماء

وقلبك أخضر.....

وجزر الهوى فيك مدّ

فكيف إذن لا احبك أكثر[3]

---

[1]–محمود درويش، ديوان محمود درويش،ص:244.

[2]–عبد القادر القط، في الأدب العربي الحديث،دار غريب،القاهرة،مصر ،2001،ص:45.

[3]–محمود درويش،ديوان محمود درويش،ص:244.

يتضح لنا أن محمود درويش مستعد للموت ألف مرة من اجل حبه لوطنه، فقد منحه طفولته المخضبة بالوجع ويوما ما سينتفض قهره ويتحول في لحظة غضب إلى رعد هادر يدوي فوق رؤوس أعدائه، ولا يهمه بعد ذلك إذا مات أو عاش لأنّ ما يهمّه هو وطنه.

يمكن القول أن محمود درويش ليس فردا فلسطينيا يحارب من اجل البقاء، انه ضمير امة بأكملها فهو مولع بوطنه ، يتغزل به ويتصوره أنثى خلقت لتنهل من حنان درويش وعطائه لأنه"يتصف بحب ابدي للأرض، وذلك لان الحب والوطن يتوازيان في شعره"[1] فارتباطه الوثيق بوطنه هو حب يتعدى حدود المعقول ويتضح ذلك من خلال أشعاره التي عبر فيها عن هذا الحب.

****صورة الوطن/ الموت:***

يحتل مصطلح الموت الصدارة في ثقافة الشعب الفلسطيني لأنه صار الغذاء اليومي له وأصبح حدثا عاديا لابد أن يعاش.

من هنا يتضح لنا أن محمود درويش كغيره من أبناء هذا الشعب يؤمن بالموت في ضوء تجربته الشعرية التي صقلها الواقع المفروض عليه، ذلك لأنه وليد امة تؤمن بالموت كنتيجة حتمية ونهاية مفروضة لهذا الواقع.

إن الموت في شعر درويش يخرج عن طبيعته المألوفة باعتباره نهاية الحياة إنما هو"معبر ضروري في المشروع الحيوي لشعب يرفض أن يعيش مهانا فاقدا هويته التاريخية(....)فالموت سيغدو إستراتيجية أساسية لاسترجاع الكيان الروحي والمادي، الذي تستحق به الحياة أن

[1]–احمد قبش،تاريخ الشعر العربي الحديث،دار الجيل،بيروت،لبنان،ص:622.

تعاش"[1].فالموت من هذا المنظور يصبح شيئا مقدسا يمارسه الفلسطينيون كضرورة يفرضها رفضهم الدائم والمتواصل للعيش تحت سلطان المحتل اليهودي.يقول محمود درويش في قصيدة له بعنوان:**عيون الموتى على الأبواب:**

مروا على صحراء قلبي،حاملين ذراع نخلة

مرّوا على زهر القرنفل،تاركين أزيز نحلة

وعلى شبابيك القرى رسموا بأعينهم أهلّة

وتبادلوا بعض الكلام عن المحبة والمذلة[2]

يرتبط الموت بالوطن عند محمود درويش من خلال عبثية الأزمنة والأمكنة الفلسطينية التي انتشرت في قصيدته وتبعثرت في ذاته حتى صار درويش" النموذج الفادي الذي يموت فردا ويبعث امة"[3]. حيث يتساوى الموت والجفاف في قاموسه وتنمو بين شقوقه نخلة قتلت في مقتبل العمر، ويمتزج الفرح بالحزن في صورة معبّرة تتنامى في وعي الفلسطيني الشهيد، ذلك البطل الذي يحدث أهله بكلام عيونه ويذكرهم أنّ الذل مهما طال لا بد أن تمحيه المحبة.

فمحمود درويش يرسم صورة للموت ويسقطها على وطنه في شكل متأرجح عبر مرحلتين، ففي المرحلة الأولى"مال إلى تمجيد الموت باعتباره عرسا للشهيد ومدخلا أساسيا لاسترجاع الأرض والهوية"[4]حيث صار الموت مفهوما جماعيا تنظر إليه الذّات بوصفها جزءا من الجماعة.أمّا في

---

[1]–عبد السلام المساوي،جماليات الموت في شعر محمود درويش،دار الساقي، بيروت، لبنان،ط1،2009، ص:6.

2–محمود درويش، أزهار الدم، ديوان محمود درويش، ص:219.

[3]–عبد السلام المساوي، جماليات الموت في شعر محمود درويش ،ص:5.

[4]–عبد السلام المساوي، جماليات الموت في شعر محمود درويش،ص:7.

المرحلة الثانية"فقد مال إلى تذويت الموت وتأمله في سياق الرؤية الفردية(....) وتجربة المرض التي قربت الذات من مصيرها"[1] فأصبح بذلك الموت ينطلق من الذات ليحيط الجماعة بظلاله.

في مقطع آخر من القصيدة يقول:

ماذا حملت لعشر شمعات أضاءت كفر قاسم

غير المزيد،من النشيد، عن الحمائم......

والجماجم.....؟

هي لا تريد...ولا تعيد

رثاءنا......هي لا تساوم

فوصية الدم تستغيث بان تقاوم[2]

جاء على ذكر نقطة من وطنه وهي كفر قاسم وهي القرية التي احرقها الاحتلال اليهودي وراح ضحيتها الآلاف من الأطفال والنساء. انه توظيف لرمز الوطن الأول وهو قرية "البروة" التي ولد فيها وهي"القرية التي لا يذكر منها الكثير، حيث بترت ذكرياته فجأة وهو في السادسة من عمره"[3] فربط بين القرية التي رحل منها لاجئا صغيرا و عندما عاد إليها وجدها أرضا خرابا و بين كفر قاسم ،القرية التي أشعل فيها الاحتلال النار و قتل أهلها .

[1]–المرجع نفسه ص:7.

[2]–محمود درويش، ديوان محمود درويش،ص:219.

[3]– محمد إبراهيم – محمود درويش حياته و شعره – ص3

فالمقاومة التي يدعو إليها الموتى تحث الأحياء على القتال و تحرضهم على النيل من المحتل الغاشم .

الآن صار جرح درويش جرحين ، يوجعه الجرح الأول عند رؤيته لقوافل الموتى تسير دامية و عيون الشعب العربي تتفرج ، و الجرح الثاني هو خوفه من أن يندثر وطنه و يضمحلّ كما حدث لقرية البروة و كفر قاسم.

و يستمر في دكّ الجرح أكثر حيث يقول :

في الليل دقوا كل باب

كل باب.......كل باب

و توسلوا ألاّ نـهيل على الدم الغالي التراب

قالت عيونـهم التي انطفأت لتشعلنا عتاب

لا تدفنونا بالنشيد و خلدونا بالصمود

إنّا نسمّد ليلكم لبراعم الضوء الجديد [1]

الموت والوطن عند محمود درويش وجهان لعملة واحدة، لأنّ طفولته مرت جحيما ذاق فيه كل أنواع الموت، لذلك نراه لا يشير إلى الموت بصورة مباشرة بل يرمز إليه فقط (الدم الغالي- تدفنونا) و منذ صغره " لم يكن احتلال الوطن بالنسبة إليه اكبر من احتلال طفولته .من هنا

– [1] محمود درويش، ديوان محمود درويش، ص220

يمكن اعتبار هذا الاحتلال المبكر نوعا من الموت المسلط على طفولته" [1]. فالموت الأول الذي تخيل درويش وطنه بين مخالبه هو الموت الذي فرض على تلك مرحلة من أبهى و أجمل مراحل العمر، و هي الطفولة.

يا كفر قاسم ا

من توابيت الضحايا ، سوف يعلو

علم يقول: قفوا قفوا

و استوقفوا

لا........لا........تذلوا

دين العواصف أنت قد سددته

و انـهار ظل

يا كفر قاسم لن ننام ....وفيك مقبرة وليل

ووصية الدم لا تساوم

ووصية الدم تستغيث بأن نقاوم

أن نقاوم ...[2].

---

[1] – عبد السلام المساوي، جماليات الموت في شعر محمود درويش– ص12

[2] – محمود درويش، ديوان محمود درويش، ص 220.

يصبح الموت فجأة مرتبطا بالمكان الذي يناجيه الشاعر و الذي توحدت فيه توابيت الضحايا و علت أصواتهم بنداء واحد :قفوا لا للذل،نموت كلنا و يحيا الوطن.

من خلال هذه المقاطع يتضح لنا أن قاموس الموت قد بسط سطوته على قصيدة محمود درويش والتي اكتست طابعا حزينا استطاع أن يصور من خلاله مأساة شعب تجسدت في مجزرة فنتج عنها صراع طويل مع شبح يسمى الموت .حتى صار شيئا لازما في تاريخ هذا الشعب،لأنّ" فلسطين تعرف الموت جيدا،و قد أخرجته من غياهب الأسطورة (....)لتجعل منه متجولا عاديا في أزقة الاستشهاد المعمورة ،و لم يعد الموت فناء أو نهاية عبثية تقام حولها الوداعات. إنّه تلك اليد (....)التي تخترق الصفوف (.....)لتخطف زهرات الدم"[1].

فالموت هو ما يتجسد في قائمة الضحايا المودعة كل يوم من اجل تحرير هذا الوطن.

من هنا نستنتج أن درويش منح لوطنه صورة للاندثار و الموت نتيجة للوجه العادي الذي صارت فلسطين تتصبّح به كل يوم كوجبة أساسية في تاريخها الدامي و الذي منحه درويش مرة أخرى ربطا عنيفا بالوطن.

<u>*صورة الوطن /السجن</u>

السجن هو الوجه الآخر للموت،فمتى صار الإنسان سجينا صارت حريته رهن حكم سجانه،كذلك هو درويش الذي صار بين ليلة و ضحاها سجينا في وطنه و "عانى مذلة الوجود في ارض تنتمي له و يحكمها شرطي إسرائيلي،لكنه استمر يقول الشعر تحت حصار الدبابات الإسرائيلية"[2]

---

[1]–عبد السلام المساوي....ص:19.نقلا عن:عبد اللطيف اللعبي: الكتابة الفلسطينية في الوعي و اللاوعي:مجلة الكرمل،ع6 ،1982،ص:313.لا

[2]–محمد إبراهيم–محمود درويش حياته وشعره،ص:7.

فرغم انه ينتمي إلى وطن هو كل ما في وجوده لكنه ما زال يحسه بعيدا عنه، تائها منه،"يحسه عنده و لا يعيه"يراه سجنا مغلقا رغم انفتاحه و ضيقا رغم شساعته كل هذا بعد أن صار شريكا فيه مع قوم لا يعرف عنهم شيئا و الصراع الذي بينه و بينهم هو صراع بين ذاكرتين تحاول كل واحدة طمس هوية الأخرى و إثبات ذاتها فقط.

هكذا بدا وعي درويش يتبلور حول فكرة الوطن السجن و تفطن إلى اللغة التي يتقنها الإنسان الذي يعيش في وطن يساومه الآخر الغريب على حريته فيه. يقول في قصيدته: **السجن:**

تغير عنوان بيتي

و موعد أكلي

و مقدار تبغي تغير

و لون ثيابي ،ووجهي،و شكلي

و حتى القمر

عزيز علي هنا....

صار أحلي و اكبر

ورائحة الأرض عطر

و طعم الطبيعة سكر

كأنّي على سطح بيتي القديم

و نجم جديد....

بعيني تستمر.[1]

---

[1]–محمود درويش،ديوان محمود درويش ،ص:109

حينما عاش سجينا في وطنه تغير كل شيء في عينه،حتى بيته الذي هو ملك له صار غريبا عنه و أكله لم يعد في وقته،انه يعيش و على باب بيته حراس يحسبون حتى كمية التبغ الذي يستنشقه، وصار السجان يتحكم في لون الثياب و الوجه و الشكل،كل ما في الوجود يتغير ويصبح باهتا و تافها و صار القمر أحلى و اكبر.

إنّه السجن الذي يمنح ساكنه حياة أخرى يرى من خلالها كل شيء بطعم الملح ،إلاّ تراب أرضه ووطنه عطره الذي لا يجاريه الورد في عبيره.

فمنذ طفولته كان درويش يحلم برؤية فلسطين نجما ساطعا في سماء الحرية،لكن طفولته تلك ضاعت بين اللجوء و الحرمان فهي على حد تعبيره "بداية مأساتي الخاصة التي ولدت مع بداية شعب كامل ،وقد وضعت هذه الطفولة في النار،في الحتمية،في المنفى"[1].

هذا هو الطفل الذي ولد لاجئا و عاش سجينا في وطنه و أصبح "محروما من الأشياء التي تميزه عن الكبار"[2]

هكذا مزج محمود درويش بين السجن و الوطن في صورة استطاع من خلالها أن يصف حياة السجن حتى و إن كانت في مكان مفتوح حيث "عاش حبيس العالم المفتوح معزولا عن جنته الموعودة....فلسطين"[3] فوجوده بين أحضان هذا الفضاء المفتوح يحسسه أنّ لكل شيء حدود، حتى الهواء الذي يستنشقه تحدّه كفوف السّجّان من كل زاوية. وقد تعرض"للاعتقالات وأوامر

---

[1]–عبد السلام المساوي، جماليات الموت في شعر محمود درويش–ص:11.

[2]–المرجع نفسه ،ص:12.

[3]–محمد إبراهيم، محمود درويش حياته وشعره، ص:7.

الإقامة **الجبرية** التي صارت تحدد حرية تجوله داخل وطنه"[1] كما أنّه مرّ بتجربة الاعتقال داخل السجون الإسرائيلية "ثلاث مرات:سنة:1961/1965/1967"[2].

لقد وفّق محمود درويش كثيرا في الحديث عن السجن لأنه عانى عذابا حقيقيا ذاق من جرّاءه مرارة الحرمان مما ساعده في الربط بين السجن والوطن ذلك لأنه تعرض لسلسلة من المحاصرات النفسية والجسمية التي حرمته حق ممارسة الحياة على طبيعتها حيث"اضطر الحاكم العسكري إلى تحديد إقامته في الحي الذي يعيش فيه، فصار محظورا عليه مغادرة هذا الحي منذ غروب الشمس إلى شروقها في اليوم التالي"[3].

لقد ظن جند الاحتلال أنّ صوت محمود درويش سيخمد أو يذبل إذا مكث في البيت حبيس الباب والجدار، لكن هذا السجن قد زاده إصرارا على مواصلة الكفاح فسجّانه لا يعرف عن صموده شيئا ولا يعي أنّه كمن يضرب الريح بعصا فمهما حجب عنه النور فان النور يأتي من الذات الجريحة.

<u>*صورة الوطن /الغربة</u>:

إن المغترب عن الوطن يحن كثيرا إلى حياته وسط أهله وعلى تراب أرضه مهما طال الزمان أو ابتعد به المكان ، فيبكي بحرقة شوقا إلى العودة ذلك لان حب الوطن عاطفة إنسانية نبيلة "قديمة ليست ضربا من الاكتشاف ، فقد كانت منذ كان الإنسان"[4] فالإنسان قد ولد بغريزة حب الوطن وهي تعبير عن مشاعر صادقة اكتوت بنار الفراق والبعد عن الأهل والخلان.

[1]–رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، ص:109.

[2]–محمد إبراهيم،محمود درويش حياته وشعره،ص:5.

[3]– محمد إبراهيم،محمود درويش حياته وشعره،ص:4.

[4]–فيصل سالم العيسى،النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية،دار اليازوري،عمّان، الأردن،2006–ص:81.

أما عن محمود درويش فانه قد جرب لوعة الفراق منذ الطفولة حيث اخرج من داره عنوة .يقول درويش عن هذه التجربة:"أذكر نفسي عندما كان عمري ست سنوات، أقيم في قرية جميلة(...) وعندما بلغت السابعة توقفت ألعاب الطفولة. وفي إحدى ليالي الصيف(...)أيقظتني أمي من نومي فجأة فوجدت نفسي مع مئات من سكان القرية أعدو في الغابة(....)ولم أفهم شيئا مما يجري، بعد ليلة من التشرد وصلت إلى قرية(...) وسمعت للمرة الأولى كلمة لبنان"[1]. فأول تغريبة عاشها درويش كانت في بلد رغم عروبته لكنه ليس وطنه الأصلي، ومنذ تلك اللحظة صار التشرد واللجوء والاغتراب جزءا لا يتجزأ من ذاكرته، وأصبح النظر إلى جرح الوطن عن كثب هو غذاؤه الروحي. فهو لا يستطيع العودة لأنه محكوم بالغربة ولا يستطيع مغادرة فلسطين لأنه صار بعد عودته إليه "لاجئا فلسطينيا في فلسطين وهو الاسم الذي جعله مطاردا من قبل الشرطة الإسرائيلية ، فهو لا يحمل بطاقة هوية إسرائيلية لأنه متسلل"[2]. من هنا بدا الشاعر مرحلة جديدة في حياته وهي مرحلة: الغربة داخل الوطن أو الوطن الغربة.

يقول محمود درويش في قصيدة له بعنوان:**جواز سفر**:

لم يعرفوني في الظلال التي

تمتص لوني في جواز السفر

وكان جرحي عندهم معرضا

لسائح يعشق جمع الصور

لم يعرفوني، آه...لا تتركي

كفي بلا شمس،

---

[1]–رجاء النقاش،محمود درويش شاعر الأرض المحتلة،ص:4.

[2]–محمد إبراهيم، محمود درويش حياته وشعره، ص:4.

لان الشجر

يعرفني

تعرفني كل أغاني المطر

لا تتركيني شاحبا كالقمر[1]

يعبر الشاعر هنا عن عيشه في ارض كانت له ذات يوم وصارت اليوم غريبة عنه، تائهة منه. إنها"مرارة التناقض بين انتمائه هو وأهله منذ أجيال إلى ارض فلسطين وبين حرمانه من الجنسية في هذا الوطن حيث يعتبره الإسرائيليون غريبا لاجئا في أرضه"[2]. إنها المرارة نفسها التي تضع الإنسان في خانة الاختيارات الصعبة فيصبح مجبرا لا مخيّرا، يفعل فقط ما يمليه عليه جلاده من أوامر.

ويواصل درويش قائلا:

كل العصافير التي لاحقت

كفي على باب المطار البعيد

كل حقول القمح،

كل السجون

كل القبور البيض

كل الحدود

كل المناديل التي لوحت

كل العيون

[1]–محمود درويش، ديوان محمود درويش، ص:356.

[2]–رجاء النقاش،محمود درويش شاعر الأرض المحتلة،ص:102.

كانت معي لكنهم

قد أسقطوها من جواز السفر[1]

يكشف الشاعر هنا عن حميمّية العلاقة بينه وبين كل الكائنات الحية وغير الحية والتي تعرف صاحب الأرض جيدا حتى لو لم يعترف به مغتصبه الذي يعتبره "غير جدير بأن يحصل على جواز سفر تتحدد فيه جنسيته"[1] فهو بالنسبة إليه بلا جنسية بالرغم من أصله الذي يحن إليه دائما ويطلبه للعودة إلى أحضانه.

ومرة أخرى يستنكر محمود درويش هذا الاغتراب الذي يعيشه في كنف وطنه فيقول:

عار من الإسم، من الإنتماء

في تربة ربيتها باليدين؟

أيوب صاح اليوم ملئ السماء

لا تجعلوني عبرة مرتين[2]

انه يتساءل عن انتمائه، عن أصله وفصله، عن اسمه الذي تاه منه في أرضه. وعن ثمار أرضه التي نمت ذات يوم بين أنامله، يقول درويش :"أحب الحياة على الأرض، بين الصنوبر والتين لكني ما استطعت إليها سبيلا"[3].

وفي استذكاره لرمز أيّوب الذي أصابه الله بالداء ليختبر صبره فان درويش يربط ماساته بمأساة أيوب، لكن الفرق بينهما يكمن في أن "بلاء أيوب جاءه من السماء لكن درويش يعيش بلاء ارضي صنعه الاستعمار(...) لذلك فإذا كانت مأساة أيوب تحتاج إلى الصبر(...)فإنّ

---

[1]– المرجع نفسه ،ص:102.

[2]–محمود درويش، ديوان محمود درويش، ص:357.

[3]–محمد إبراهيم، محمود درويش حياته وشعره، ص:12.

مأساة درويش تحتاج إلى حل آخر هو الثورة والتمرد ورفض الظلم"[1] فمهما طالت غربته فإنّ الفرح آت لا محالة.

ثم يواصل قائلا:

يا سادتي يا سادتي الأنبياء

لا تسالوا الأشجار عن اسمها

لا تسالوا الوديان عن أمّها

من جبهتي ينشق سيف الضياء

ومن يدي ينبع ماء النهر

كل قلوب الناس جنسيتي

فلتسقطوا عني جواز السفر[2]

رغم أن المحتل قد اسقط عنه جنسيته وجعله غريبا في أرضه لكن محمود درويش يسكن في قلوب الناس، انه يعلم أين معقله وكيف مقتله ويعلم جيدا كم يساوي أمام ضيفه الثقيل لذلك لا يناقش كثيرا، وهو على يقين إن الأرض التي تعرفه لا تسقط بين كفي غيره والتراب الذي رباه بيديه لا يمكن لهذا الغير أن يمتلكه.

إننا هنا نعيش موقفا صريحا وواضحا للألم الذي يعانيه الفلسطينيون داخل أرضهم. ورغم العودة المؤجلة إلاّ أنّهم –كما يقول درويش "يعيشون مرة أخرى لاجئين وهذه المرة في بلدهم"[3]. فمحمود درويش كغيره من أبناء وطنه قد عانى كثيرا من الغربة وعاشها بنوعيها: النوع الأول

---

[1]–رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة ص:104.

[2]–محمود درويش، ديوان محمود درويش،ص:358.

[3]–محمد إبراهيم، محمود درويش حياته وشعره ص:13.

خارج وطنه بين أناس غرباء عنه لا يعرف عنهم شيئا، ولم يتأقلم مع الوضع هناك لذلك عندما عاد إلى فلسطين محملا بلقب"لاجئ فلسطيني متسلل" عاد حزينا، ضائعا لأنه بدا يعي جيدا ملامح النوع الثاني من الغربة وهي داخل الوطن. يقول درويش:"كنت لاجئا في لبنان والآن أنا لاجئ في بلادي(...) وإذا أجرينا مقارنة بين أن تكون لاجئا في المنفى وبين ان تكون لاجئا في الوطن، فقد خبرت النوعين من اللجوء، فإننا نجد أنّ اللجوء في الوطن أكثر وحشية، العذاب في المنفى شيء طبيعي ولكن أن تكون لاجئا في وطنك فلا مبرر لذلك ولا منطق له"[1].

هكذا انتهى درويش إلى التعبير عن غربته داخل الوطن الذي ولد فيه ويبرر حزنه وفجيعته عن طريق إقراره أنّ الغربة داخل الوطن وحشية لا منطق فيها ولا مبرر لها.

صورة الوطن/ المفقود:

إنّ حب الوطن عاطفة إنسانية نبيلة تجعل الإنسان مستعد للتضحية بحياته من اجل الوطن، اما اذا فقد الإنسان هذا الوطن تصير حياته بلا قيمة.

كذلك هو الحال بالنسبة بالنسبة لمحمود درويش فهو يعيش حالة من اللاستقرار في عالم يشوبه الظلم والقهر والاستبداد، ويمارس حياته وسط ركام من الألم لأنه صار لا يعرف من يكون فهويته سرقت منه وأصبح فجأة غريبا في أرضه وأصبح مجبرا على العيش تحت رحمة جلاده لأنه –وبكل بساطة– لا يملك هوية ورغم تمسكه بآخر أمل في العودة آمنا لكنه بدا يفقد الأمل وضاع وطنه منه مرة أخرى.

[1]–رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، ص:101.

من هذا المنطلق تيقن محمود درويش إلى أنّ حياته في وطنه رهن للشعور بالقلق الدائم على الوطن. إذ يقول في قصيدة له بعنوان"**قراءة في وجه حبيبتي**":

وحين أحدّق فيك

أرى مدنا ضائعة

أرى زمنا قرمزيا

أرى سبب الموت والكبرياء

أرى لغة لم تسجل

وآلهة تترجل

أمام المفاجأة الرائعة[1]

بدأ درويش يفقد وطنه عندما عاد إلى قرية البروة، تلك القرية التي قاومت الاحتلال بكل ما أوتيت من قوة لكن الدمار قد أصابها وكان الهدم هو النهاية التي حتمتها عليها أيدي الظلمة.

من هنا بدأ الوطن يتلاشى في ملامح قصائده، وصار يراه مسرحا للضياع والموت والكبرياء. ذلك لان الفقدان بالنسبة لمحمود درويش هو شعور مواز للموت ويزول عنه الضباب عندما يمتزج بالكبرياء وبلغة التحدي والصمود التي لا يتقن درويش غيرها.

ثم يواصل سرد ماسات ضياعه قائلا:

وتنتشرين أمامي

صفوفا من الكائنات التي لا تسمى

وما وطني غير هذي العيون التي

---

[1]–محمود درويش، ديوان محمود درويش ص:298.

تجعل الأرض جسما

واسهر فيك على خنجر

واقف في جبين الطفولة

هو الموت مفتتح الليلة الحلوة القادمة

وأنت جميلة

كعصفورة نادمة[1]

عندما يصبح الوطن هو الوجه الآخر للعشق يتوه محمود درويش بين صفوف الكائنات التي لا يعرفها ، وربما مزج في هذه الكلمات بين وطن مفقود وحبيبة ضائعة صارت فجأة تقف مكان الخنجر في بقايا الأرض التي فقدها في طفولته.

ويتحدث درويش عن عودته إلى القرية التي ولد فيها قائلا: "...بعد رحلة مضنية، وجدت نفسي في إحدى القرى(...) هي ليست قريتي، لا بيتي هنا ولا زقاقي سالت متى نعود إلى قريتنا(...) لم افهم معنى أن تكون القرية مهدمة ، وان يكون عالمي الخاص قد انتهى"[2]. فوطنه مفقود منذ الطفولة، ومنذ الساعة الأولى التي اخبروه فيها أن القرية هدمها الاحتلال.

فربما جمال هذه الأرض كان سببا في فقدانها، (وأنت جميلة كعصفورة نادمة) فداخل كل جمال إحساس بالندم أو عودة في القرار.

وحين أحدّق فيك

أرى كربلاء

وإثيوبيا

[1]–محمود درويش، ديوان محمود درويش،ص:298.

[2]–رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الارض المحتلة،ص:101.

والطفولة

وأقرأ لائحة الأنبياء

وسفر الرضا والرذيلة

أرى الأرض تلعب

فوق رمال السماء

أرى سببا لاختطاف المساء

من البحر

والشرفات البخيلة[1]

منذ أن خرج محمود درويش إلى ميدان الواقع، صار لزاما عليه أن يمر بتجربة الافتداء لهذا الوطن الذي أصبح ارتباطه به اشد مما كان عليه وصار –رغم المأساة– الصوت الهادر من الصميم

وفلسطين مهبط الأنبياء وملجأ الصالحين صار مثخنا بطعنات الرذيلة بعد أن دنّس ترابه قوم يدعون ملكيته وطردوا أبناءه ، من هنا انقلب الوضع رأسا على عقب وأصبح صاحب الأرض ضيفا فيها.

وتحول درويش فجأة إلى رجل يزور مسقط رأسه لأول مرة ويسافر في أزقة ذكرياته تائها محملا بأحزانه ومآسيه. ويعبر عن ذلك بقوله:"...حذرني أهلي من (خطورة) رغبتي في زيارة المكان الذي ولدت فيه وقضيت طفولتي(...)كانت زيارة سرية لان دخول تلك المنطقة ممنوع"[2].

[1]–محمود درويش، ديوان محمود درويش،ص:299.

[2]–رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة ص:102.

لقد عاش محمود درويش حياة صعبة فقد تشرد وخرج من وطنه وعاش بعيدا عن أهله تائها منفيا غريبا في بلاد غريبة عنه ولا تشبهه في شيء.

وأمّا عن فقدانه لوطنه فانه جرّب مرارة التغريب منذ الصغر، بداية بطفولته التي ضاعت بين الدروب وشبابه الذي ضاع في العمل السياسي والسجن وكهولته التي تاهت في المنافي والغربة داخل وخارج الوطن. وسط هذا الركام من الأحزان وجد محمود درويش نفسه يفقد وطنه شيئا فشيئا ويجبره واقعه المر على التخلي عن الهوية التي عاش عمره كاملا يبحث عن خانة يضعها فيها.

هذا هو الوطن المفقود الذي صوره درويش في قصيدته وبيّن لنا من خلال هذا التصوير أن الهوية الوطنية مهما فقدت وهوت وضاعت لا يمكن للإنسان أن ينسى أنها الأصل الأول الذي خلق الإنسان من ضلعه.

<u>صورة الوطن/ الأمل:</u>

لا يستطيع الإنسان أن يعيش دون أمل في حياة أفضل، وكذلك هو الحال بالنسبة للشعب الفلسطيني فرغم ما يعانيه من ظلم وقهر وقتل وتعذيب إلا أنّ الأمل يحتل المساحة الأكبر في صفحة المستقبل.

ومحمود درويش ، هذا الرجل المناضل والمحارب بالقلم، نراه قد جمع بين متضادات كثيرة:الموت والحياة، الرضوخ والإباء، الحزن والفرح وحاول قتل اليأس بالأمل. فهو يعيش لأنه على يقين انه سيعود، يوما ما سيرجع إلى تلك الأرض الطيبة. ويواصل حياته الشعرية طلبا في المزيد من الأمل زارعا إياه في نفوس الشعب الفلسطيني ومنذ بداياته الأولى في كتابة الشعر، كان صوته صارخا، غاضبا ورافض لكل أشكال العبودية وأصبحت قصائده صرخة تحد جماعية

تعبر عن مأساة شعب بأكمله. ويقول درويش عن نفسه: "أنا لا أقرر تمثيل أي شيء إلاّ ذاتي، لكن تلك الذات مليئة بالذاكرة الجماعية"[1]. إنها التجربة الذاتية التي تنصهر في الجماعة وتصبح مرآة لها حيث"استطاع الشاعر في صوته المنفرد أن يفارق الصوت العام لحظة اندماغه به"[2].

يقول درويش في قصيدة له بعنوان:**حوار في تشرين:**

أحاور ورقة توت

ومن سوء حظ العواصف أن المطر

يعيدك حية،

وان ضحيتها لا تموت

وان الأيادي القوية

تكبلها بالوتر

سأدفع مهر العواصف

مزيدا من الحب للوردة الثاكلة

وأبقى على قمة التل واقف

لأفضح سر الزوابع...للقافلة[3]

تبين لنا هذه الكلمات أن محمود درويش يعيش دائما على أمل العودة ، فاليأس لا يعرف طريقا إلى قلبه. انه يرى وطنه ورقة توت عنيدة مهما عصفت بها الرياح او حملتها فان إصرارها على مواصلة الحياة أقوى من كل العواصف. ذلك لان الشعب الفلسطيني يدافع عن هذا الوطن

[1]–محمد إبراهيم، محمود درويش حياته وشعره، ص:14.
[2]–المرجع نفسه ص:25.
[3]–محمود درويش، ديوان محمود درويش، ص:210.

بقبضة رجل واحد ولا يستسلم أبدا لأنه يعطي ورودا ناعمة لتسكن الجنة مهما طال عمر الظلم فانه سيزول وكل متفرج على كرب الفلسطيني سيأتي يوم ويعرف الحقيقة.

ويقول درويش في مقطع آخر:

أحاور هبة ريح:

إذا هاجر الزارع الأول

وعاش بحنكته القاتل

وان قتلوه كما قتلوني

فلن تحملي الأرض يوما

ولن تنزعي جلدها عن جفوني[1]

إن هبة الريح مهما كانت قوية لا تستطيع أن تقتلع الإنسان من جذوره، وإذا طرد صاحب الأرض من فتات ترابه أو حاربه المحتل واخذ خيراته فان احتلاله له لا يدوم ، والأرض التي اغتصبها سيأتي يوم تعود فيه إلى أصحابها.

هذا هو الحوار الذي دار بين محمود درويش وبين هبة ريح باردة ظنت أنها تستطيع قتل روح الأمل فيه.ولن تتمكن من طمس هويته أو مسحها، فهبة الريح عنده هي الاحتلال اليهودي الذي احتل فيه كل شبر.

وبإصرار وحزم يواصل قوله:

أحاور روح الضحية

ومن سوء حظ العواصف أن المطر

---

[1]–محمود درويش، ديوان محمود درويش، ص:211.

يعيدك حية

ومن حسن حظك انك أنت الضحية

هلا.....يا هلا.........بالمطر[1]

المطر هو رمز الخصب والنماء والبعث من جديد، وقد وظفه محمود درويش ليرمز به إلى الأمل في حياة جديدة أخصب وأندى مما سبق. فالفلسطيني ذلك الشهم الذي إذا مات اليوم فسيفتدي وطنه آلاف غيره.

ومن سوء حظ الجلاد المغتصب أن الأمل وقود لا ينضب من نفوس الفلسطينيين، انه الدم الذي يسري في عروقهم.فحظ المغتصب قد أوقعه في قوم يدمنون التمرد ويعيشون على الآمل.

لقد استطاع محمود درويش بفضل لرغته الشعرية الراقية أن ينقل لنا صورة حية عن إحساس ذاتي غذته الروح الجماعية للشعب الفلسطيني الذي مهما طال أمد الظلم على ترابه فان الأمل الذي يربيه يبقى أطول وأشدّ.

والجدير بالذّكر في هذا المقام أنّ صورة الوطن السّجن عند محمود درويش قد أخذت النصيب الأوفر في شعره فقد عاش سجينا فوق أرضه نتيجة حظر التّجوّل المفروض عليه من قبل جنود الاحتلال. إلى جانب الوطن الغربة وهو الذي يعيش غريبا في أرضه "أنا غريب الدار في وطني غريب الدار" لأن أسوأ وضع يعيشه المرء هو الإحساس بالتشرد والغربة داخل الوطن الأم.

أمّا عن الضياع فان الوطن عند محمود درويش كان كحبات رمل ضاعت من بين أنامله، وفقد نفسه عندما فقده وصار تائها ضائعا بين الرصاصة والرصاصة وكأنّ حياته صارت بين المطرقة والسندان.

رغم كل ما حدث له منذ الطفولة من تغريب ولجوء وتشرد لكن محمود درويش قد بقي محافظا على روح الأمل ، يبتسم دائما في وجه عدوه ويصطنع الفرح أمامه حتى لا يتمكن منه ، ذلك لان نصف الشجاعة إصرار على مواصلة القتال.

هكذا استطاع محمود درويش أن يصور هذا الوطن ويعطيه أكثر من معنى وأعمق من محبة، ورغم طول بعاده عنها إلّا أنّه استطاع أن يعيشه قبل أن يعيش فيه وأسكنه قلبه قبل التراب.

الخاتمة

الخاتمة :

ان شعر السجون هو الشعر الذي ولد من رحم الظلمات و نمت كلماته بين حنايا الزنازين الباردة و هو شعر وجد منذ القديم و قد بلغ اوجه في العصر الحديث بسبب الاوضاع السياسية المزرية التي تعيشها الامة العربية . و الشاعر العربي قد ذاق مرارة السجن و مر بتجربة الاعتقال فجادت قريحته بكل مشاعر الحزن و الشجن بسبب مالاقاه في السجن من ظلم و تعسف و استبداد

ومن اهم اسباب سجن الشعراء قضية الوطن و القومية ذلك لان الشاعر هو لسان حال قومه و حبه اوطنه بدفعه للالتزام بقضاياه و الدفاع عنه بالكلمات ،هذه الاخيرة التي لا يتقن الشاعر لغة غيرها فصارت العلاقة بين الوطن و الشاعر اقوى من مجرد قصائد في مدح الوطن و التغزل بحبه بل اصبحت يكتبها متنفسا يعبر الشاعر من خلاله عن غضبه و تمرده،فالوطن اكبر من ان نعيش على ترابه انه القطعة النقية في القلب و من اجلها يمكن ان يضحي الانسان بكل شيئ.

و اما عن تمثلات الوطن في شعر محمود درويش فقد اخذ الوطن عنده صور متعددة كالام و الحبيبة و السجن و الموت و الغربة و الامل، حاول من خلالها ان يعرف بوطنه اكثر و ان ينقل صورته في شكل شعري راقي و بلغة بسيطة ممتنعة،فتحول الوطن بذلك من مجرد بقعة يعيش فيها الى كتلة من المشاعر و الاحاسيس المتضاربة و التي امتزج فيها الفرح و الحزن و الياس و الامل و الخوف و التمرد،انه ينقل وطنه من المحسوس الى الملموس و يعطيه اكثر ان معنى. هكذا تحول الوطن في شعر السجون من مساحة جغرافية الى مساحة روحية تسكن الذاكرة و تحتل نصف الخيال.

الواجهة الأولى للملحق

نبذة عن حياة محمود درويش:

محمود درويش: هو محمود سليم درويش وأمه بنت أديب البقاعي وهو ابن عائلة من ثمانية أبناء : خسة أولاد وثلاث بنات.ولد في 13 مارس 1941 في قرية البروة بفلسطين وهي قرية تقع شرقي عكا علي مسافة 9 كلم والتي كان عدد سكانها آنذاك 1460 نسمة.وقد تأثرت هذه القرية بالمأساة الفلسطينية تأثراً مباشراً حيث أنها هدمت كما الكثير من القرى الأخرى,وكذلك غًير اسمها من البروة إلى احيهود وحُوّلت الى موشاف أي قرية تعاونية يهودية وكل سكانها من اليهود اليمنيين المهاجرين.

و خرج محمود درويش مع من خرجوا من قريته الى لبنان وهو ابن السادسة حيث عاش سنة كاملة هناك حياة لاجئ الى أن بُلّغ بخبر كان يعد منعطفاً مهماً له, هو خبر عودته الى الوطن, حيث أن هذا الخبر بالنسبة له هو نهاية الجبنة الصفراء وتحرشات الأولاد اللبنانيين الذين كانوا يشتمونه بكلمة لاجئ المهينة.

وقد اعتاد محمود درويش على حياة الكبار منذ نعومة أظفاره, فقد كان لاجئاً في لبنان , والآن هو لاجئ في وطنه الأم, وبهذا يكون قد خبر النوعين من اللجوء, إلا أن النوع الثاني أشد مرارة ووحشية. وفي هذا يقول محمود درويش في مقابلة معه نشرتها مجلة الآداب البيروتية سنة 1970: "إذا أجرينا مقارنة بين أن تكون لاجئاً في المنفى وبين أن تكون لاجئاً في الوطن, وقد خبرت النوعين من اللجوء, فإننا نجد أن اللجوء في الوطن أكثر وحشية. العذاب والأشواق وانتظار يوم العودة الموعود شيء له ما يبرره... شيء طبيعي.ولكن أن تكون لاجئاً في وطنك فلا مبرر لذلك ولا منطق فيه. وعندما عاد الدرويش من لبنان إلى قرية دير الأسد كان في الصف الثاني الابتدائي , وقد التحق بمدرسة القرية وكان مديرها طيباً, ولكن نظراً لوجود محمود درويش(الغير شرعي) في بلاده, كان يُخبأ كلما قدم مفتش وزارة المعارف, حيث كان يعتبر متسللاً, ومن هنا أضيفت هذه

اللفظة الى جانب كلمة لاجئ.وقد علموه في فدرسته القول بأنه كان لدى إحدى القبائل البدوية في الشمال وأنه قدم من هناك,, وذلك ليأخذ البطاقة الإسرائيلية ويصبح وجوده شرعياً.

وقد كان محمود درويش تلميذاً متفوقاً, وقد كان موهوباً في الرسم الى جانب الشعر, ولكنه أهمل موهبته للرسم وذلك لسبب بسيط هو أنه لا يملك مالاً كافياً لشراء أدوات الرسم.

وقد خلق له الشعر متاعب منذ بداية طفولته, ودفعه الى الصدام مع الحاكم العسكري الإسرائيلي, حيث أنه في إحدى المهرجانات المدرسية, ألقى قصيدة له كانت صرخة طفل عربي الى طفل يهودي وفحواها أنه لماذا لا يلعب الطفل العربي والإسرائيلي معاً؟!

وفي اليوم التالي أستُدعي محمود درويش الى مكتب الحاكم العسكري وهُدّد وشُتم ونُهِيَ عن كتابة الشعر.وقد تحول الحاكم العسكري الى رمز للشر الذي يؤذي العلاقات بين الشعبين.

وقد ظهرت في حياته صورة أخرى مناقضة للحاكم العسكري وذلك بعد انتقاله الى مدرسة كفر باسيف الثانوية حيث التقى بالمعلمة شوشنة اليهودية التي أنقذته من جحيم الكراهية والتي علمته أن يفهم الثورة كعمل أدبي, وعلمته دراسة بياليك, الشاعر اليهودي بعيداً عن انتمائه السياسي, وإنما لحرارته الشعرية.ولم تحاول شوشنة أن تعبئه بسموم البرامج الدراسية الرسمية التي تهدف الى دفعه وزملائه للتنكر لتراثه.

ومما كان قاسياً على شاعرنا أنه لم يزر البروة, قريته الأساسية إلا عام 1963 حيث وقف عليها أطلالاً وبشكلٍ سري لأن دخول تلك المنطقة ممنوع فلم يجد في مرتع طفولته إلا الأشواك والطلل.

وقد دخل محمود درويش سجون الاحتلال أكثر من مرة. وكانت المرة الأولى سنة 1961 بدون سبب. وقد ألقي القبض عليه في منزله, وقد دخل سجن الجلمة لمدة أسبوعين دون محاكمة. ويقول الدرويش عن

السجن الأول :"السجن الأول مثل الحب الأول,لا ينسى."وكانت المرة الثانية سنة 1965 حيث سافر الشاعر من حيفا الى القدس للمشاركة في أمسية شعرية بدون تصريح, وقد سجن ستين يوماً آنذاك.

وما بين عام 1965 و 1967 سجن الشاعر مرة ثالثة عندما حامت حوله شبهة النشاط المعادي لإسرائيل.وفي هذه المرة حكمت المحكمة عليه بغرامة مائتي ليرة إسرائيلية.

وفي يوم 4 يونيو وقبل العدوان الإسرائيلي بيوم واحد, صدرت الأوامر من رابين (رئيس الأركان آنذاك) بزج كافة المثقفين العرب في السجون. واختفى محمود درويش عن الأنظار آنذاك ولم تستطع السلطات الإسرائيلية اعتقاله. وكان هدف الشاعر من اختفائه هو الإشراف على إصدار جريدة الاتحاد العربية بعد أن تم اعتقال جميع محرريها وكان يوم الإثنين 5 يونيو هو موعد صدور هذه الجريدة التي تصدر مرتين كل أسبوع.

وقد استطاع محمود درويش إصدار عددين من مخبئه وقد كان هو محررهما الوحيد.وبعد هزيمة حزيران, ترك الدرويش مخبأه واتجه الى بيته حيث اعتقل بعد خمسة أيام وظل في سجن الدامون مدة شهر.

وفي سنة 1969 اعتقل شاعرنا للمرة الخامسة في سجن الجلمة وذلك بعد أن نسف الفدائيون عدة بيوت في حيفا, وقد بقي في السجن مدة 20 يوماً.

وبعد هذا الإعتقال الأخير, أصبح الدرويش عرضةً للإعتقال, فخرج من الأرض المحتلة الى القاهرة. وتنقل بعد ذلك بين العواصم الى أن استقر به الأمر في بيروت التي لم يخرج منها إلا بعد الإجتياح الإسرائيلي في 1982, وكاد هذا الخروج يودي بحياته لإصابته بنوبة قلبية حزناً على هذا الخروج. (خروجه وخروج المقاومة الفلسطينية من بيروت), فعاش متنقلاً بين العواصم والمدن.

وقد تعلم الدرويش في الأرض المحتلة الى أن نال الشهادة الثانوية, وبعجها عاش على الكتابة للصحف العربية التي تصدر في إسرائيل. وقد ظل فترة من الوقت يعيش في حجرة في بيت إميل توما, وهو أحد كتّاب الأرض المحتلة, وأحد السياسيين البارزين فيها. ويوجد هذا البيت في شارع عباس في جبل الكرمل.

وقد عمل محمود درويش في جريدة الإتحاد ومجلة الجديد وهما من صحف الحزب الشيوعي الإسرائيلي وهو الحزب الوحيد الذي يفسح المجال للأقلام العربية للتعبير في صحفه المختلفة. كذلك اشترك محمود درويش في تحرير مجلة الفجر, وهي مجلة أدبية عربية أصدرها حزب المابام وكان يرأس تحريرها يهودي مصري اسمه يوسف واشظ.

وبعض أشعار الدرويش تتم ترجمته محرفةً إلى العبرية, حيث يتعرض شعره دائماً للهجوم من قبل النقاد اليهود باعتباره داعيةً الى إثارة الجماهير وعاملاً على تدمير الدولة الإسرائيلية.

ويقول الدرويش في هذا :"إن الجهل التام بالأدب العربي في إسرائيل ينبع من اعتبارات وحسابات سياسية بحتة. إن اولئك الذين يسيطرون على أدوات الدعاية والنشر لا يريدون أن يقولوا للقارئ العبري حقيقة الأدب العربي في البلاد. إنهم يخافون مضمون هذا الأدب ويدركون أن وصول هذا الأدب إلى الجمهور اليهودي سيحطم حواجزو فالأدب العربي هنا هو أدب احتجاج على وضع غير عادل كأي أدب احتجاج في العالم."[1]

[1]-رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الارض المحتلة، ص:101-112.

قصائد مختارة:

قصيدة: إلى أمّي من ديوان:عاشق من فلسطين:

أحنّ إلى خبز أمّي

وقهوة امي

ولمسة امي...

وتكبر فيّ الطفولة

يوما على صدر يوم

واعشق عمري لاني

اذا مت،

اخجل من دمع امي

خذيني، اذا عدت يوما

وشاحا لهدبك

وغطي عظامي بعشب

تعمّد من طهر كعبك

وشدّي وثاقي....

بخصلة شعر...

بخيط يلوح في ذيل ثوبك...

عساني اصير الها

الها اصير....

اذا لامست قرارة قلبك

ضعيني، اذا ما رجعت

وقودا بتنور نارك...

وحبل غسيل على سطح دارك

لاني فقدت الوقوف

بدون صلاة نهارك

هرمت، فردّي نجوم الطفولة

حتى اشارك

صغار العصافير

درب الرجوع...

لعش انتظارك

****

قصيدة:احبك اكثر من ديوان: اغنيات الى الوطن:

تكبر...تكبر

فمهما يكن من جفاك

ستبقى بعيني ولحمي ، ملاك

وتبقى، كما شاء لي حبّنا ان اراك

نسيمك عنبر

وارضك سكّر

واني احبك...اكثر

يداك خمائل

ولكنني لا اغني

ككل البلابل

فان السلاسل

تعلمني ان اقاتل

اقاتل....اقاتل

لاني احبك اكثر

******

غنائي خناجر ورد

وصمتي طفولة رعد

وزنبقة من دماء

فؤادي،

وانت الثرى والسماء

وقلبك اخضر....

وجزر الهوى، فيك، مدّ

فكيف ، اذن، لا احبك اكثر

وانت ، كما شاء لي حبنا ان اراك:

نسيمك عنبر

وارضك سكر

وقلبك اخضر...

وإنّي طفل هواك

على حضنك الحلو

انمو واكبر

****

قصيدة: عيون الموتى على الابواب من ديوان:ازهار الدمك

مروا على صحراء قلبي، حاملين ذراع نخلة

مروا على زهر القرنفل، تاركين ازيز نحلة

وعلى شبابيك القرى رسموا ، باعينهم، اهلّة

وتبادلوا بعض الكلام

عن المحبة والمذلة

ماذا حملت لعشر شمعات اضاءت كفر قاسم

غير المزيد ، من النشيد ، عن الحمائم....

والجماجم....؟

هي لا تريد...ولا تعيد

رثاءنا....هي لا تساوم

فوصية الدم تستغيث بان تقاوم

******

في الليل دقوا كل باب....

كل باب ...كل باب

وتوسلوا الا نـهيل على الدم الغالي التراب

قالت عيونـهم التي انطفات لتشعلنا عتاب.

لا تدفنونا بالنشيد ، وخلدونا بالصمود

إنّا نسمّد ليلكم لبراعم الضوء الجديد

******

يا كفر قاسم

من توابيت الضحايا ، سوف يعلو

علم يقول: قفوا..قفوا..

واستوقفوا

لا....لا....تذلّوا

دين الع**واصف انت قد سددته**

وانهار ظل

يا كفر قاسم...لن ننام...وفيك مقبرة و وليل

ووصية الدم لا تساوم

ووصية الدم تستغيث بان نقاوم

ان نقاوم...

****

قصيدة السجن من ديوان:عاشق من فلسطين

تغيّر عنوان بيتي

وموعد اكلي

ومقدار تبغي تغير

ولون ثيابي ، ووجهي ، وشكلي

وحتى القمر

عزيز علي هنا..

صار احلى واكبر

ورائحة الارض: عطر

وطعم الطبيعة : سكر

كاني على سطح بيتي القديم

ونجم جديد...

بعيني تسمّر

*****

قصيدة: جواز سفر من ديوان: حبيبتي تنهض من نومها:

لم يعرفوني في الظلال التي

تمتص لوني في جواز السفر

وكان جرحي عندهم معرضا

لسائح يعشق جمع الصور

لم يعرفوني ، آه...لا تتركي

كفي بلا شمس،

لان الشجر

يعرفني...

تعرفني كل اغاني المطر

لا تتركيني شاحبا كالقمر

****

كل العصافير التي لاحقت

كفي على باب المطار البعيد

كل حقول القمح،

كل السجون...

كل القبور البيض

كل الحدود...

كل المناديل التي لوحت

كل العيون

كانت معي ، لكنهم

قد اسقطوها من جواز السفر

******

عار من الاسم ، من النتماء؟

في تربة ربيتها باليدين؟

ايوب صاح اليوم ملء السماء:

لا تجعلوني عبرة مرتين

يا سادتي ، يا سادتي الانبياء

لا تسالوا الاشجار عن اسمها

لا تسالوا الوديان عن امها

من جبهتي ينشق سيف الضياء

ومن يدي ينبع ماء النهر

كل قلوب الناس....جنسيتي

فلتسقطوا عني جواز السفر

****

قصيدة: قراءة في وجه حبيبتي" من ديوان:العصافير تموت في الجليل:

وحين أحدّق فيك

أرى مدنا ضائعة

أرى زمنا قرمزيا

أرى سبب الموت والكبرياء

أرى لغة لم تسجل

وآلهة تترجل

أمام المفاجأة الرائعة

وتنتشرين أمامي

صفوفا من الكائنات التي لا تسمى

وما وطني غير هذي العيون التي

تجعل الأرض جسما

واسهر فيك على خنجر

واقف في جبين الطفولة

هو الموت مفتتح الليلة الحلوة القادمة

وأنت جميلة

كعصفورة نادمة

وحين أحدّق فيك

أرى كربلاء

وإثيوبيا

والطفولة

وأقرأ لائحة الأنبياء

وسفر الرضا والرذيلة

أرى الأرض تلعب

فوق رمال السماء

أرى سببا لاختطاف المساء

من البحر

والشرفات البخيلة

****

قصيدة: حوار في تشرين من ديوان: ازهار الدم:

أحاور ورقة توت

ومن سوء حظ العواصف أن المطر

يعيدك حية،

وان ضحيتها لا تموت

وان الأيادي القوية

تكبلها بالوتر

سأدفع مهر العواصف

مزيدا من الحب للوردة الثاكلة

وأبقى على قمة التل واقف

لأفضح سر الزوابع...للقافلة

أحاور هبة ريح:

إذا هاجر الزارع الأول

وعاث بحنكته القاتل

وان قتلوه كما قتلوني

فلن تحملي الأرض يوما

ولن تنزعي جلدها عن جفوني

أحاور روح الضحية

ومن سوء حظ العواصف أن المطر

يعيدك حية

ومن حسن حظك انك أنت الضحية

هلا.....يا هلا.........بالمطر

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

المعاجم:

1-أبو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان-ج1، دت،

المصادر والمراجع:

1. أحمد قبّش، تاريخ الشعر العربي الحديث،دار الجيل، بيروت لبنان.
2. إبراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة، عمّان ، الأردن، ط4، 2010.
3. أحمد مزدور، الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط2005،1.
4. أحمد اسماعيل النعيمي، مقالات في الشعر والنقد والدراسات المعاصرة،
5. ابتسام القسّام، المصطلحات القانونية في التشريع الجزائري،قصر الكتاب،البليدة،1998.
6. ابراهيم حامد الطنطاوي،الحبس الاحتياطي، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية، مصر.
7. أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، الكامل في اللغة والادب، المكتبة العصرية،صيدا، لبنان،ج2002،1.
8. بويد شيفر، ترجمة: عدنان الحميري، القومية، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان،1966.
9. جورج حنّا، معنى القومية العربية،دار الثقافة، بيروت، لبنان.
10. حنان محمد موسى حمودة، الزمكانية وبنية الشعر المعاصر، عالم الكتب الحديث،إربد، الأردن،2006.
11. حنّا الفاخوري،الموجز في الأدب العربي وتاريخه، الأدب في الأندلس والمغرب، دار الجيل، بيروت، لبنان،ط3–م2003،3.
12. خليل الدويهي،ديوان أبي فراس الحمداني، دار الكتاب العربي،بيروت،لبنان،ط2003،5.

13. رجاء النقاش، محمود درويش شاعر الأرض المحتلة، دار الهلال، ط1971،2.

14. السيد أحمد الهاشمي،جواهر الأدب في أدبيات وإنشاء لغة العرب،دار الفكر،بيروت ، لبنان،2004.

15. سالم المعوش،شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر،

16. ساطع الحصري، ماهي القومية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،1963.

17. سامر محي الدين أمين،روائع من قصائد محمود درويش،دار كنوز المعرفة،عمّان، الأردن.

18. شعر الجزائر،ديوان محمد العيد آل خليفة

19. صالح أبو إضبع،الحركة الشعرية في فلسطين المحتلة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت، لبنان،ط1979،1.

20. عزالدين اسماعيل،الشعر في إطار العصر الثوري،دار القلم،بيروت،لبنان،ط1974،1.

21. عبد القادر القط،في الأدب العربي الحديث،دار غريب، القاهرة،مصر،2001.

22. عبد الوهاب البياتي،ديوان بستان عائشة، دار الشروق.

23. علي مولا،الأعمال الشعرية الكاملة لمحمود درويش،مكتبة الاسكندرية، مصر.

24. عمر فرّوخ،تاريخ الأدب العربي،دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،ط4،ج1،أفريلن1981.

25. عمّيش العرب،محمود درويش خيمة الشعر الفلسطيني،دار ألفا، قسنطينة، الجزائر،ط2014،1.

26. فيصل سالم العيسى،النزعة الإنسانية في شعر الرابطة القلمية،دار اليازوري،عمّان، الأردن،2006.

27. محمد زغينة، الأبعاد الموضوعية والخصائص الفنية في سجنيات شعراء جمعية العلماء المسلمين،دار نوميديا، قسنطينة، الجزائر.

28. محمد محمد حسين،الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ،مؤسسة الرسالة، بيروت،لبنان،1986.

29. محمد الصالح الصديق، الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس،من آرائه ومواقفه، دار الأمل، بيروت، لبنان.

30. محمد ابراهيم، محمود درويش حياته وشعره، دار الاسراء، عمّان الأردن، ط2009،1.محمد عبدالله محمد المرّ، الحبس الاحتياطي، دار الفكر الجامعي،الاسكندرية، مصر ،2006.

31. محمد الهادي الزاهري السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، دار بهاء الدين، قسنطينة، الجزائر، ط2007،2.

32. محمود درويش،الاعمال الكاملة، الاسكندرية، مصر.

33. محمود درويش،ديوان محمود درويش،دار العودة، بيروت، لبنان،ط1989،13.

34. محمود درويش،أثر الفراشة،دار رياض الريّس، بيروت، لبنان، ط2009،2.

35. محمود درويش، حالة حصار ،دار رياض الريس، بيروت، لبنان.

36. محمود درويش،ديوان محمود درويش،دار العودة، بيروت،لبنان،ط1989،13.

37. مقران فصيح،البناء اللغوي لشعر السجون، منشورات بونة،عنابة، الجزائر ،ط2008،1.

38. مفدي زكريا، إلياذة الجزائر، موفم للنشروالتوزيع، الجزائر ،2006.

39. مفدي زكريا،اللهب المقدس، موفم للنشر، الجزائر ،2009.

40. نضيرة دير، سميرة حجّام، شعر السجون في البيئة الأندلسية،مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في الادب العربي.

41. نزار قباني،قصتي مع الشعر.

42. وهيب طنّوس،الوطن في الشعر العربي،ط1975،1-1976.

43. ياسين عايش خليل،دراسات في الأدب العبّاسي، دار الفكر ،عمّان ،الأردن،ط2010،1.

44. يوسف عطا الطريفي،أبو القاسم الشابي حياته وشعره،دار الأهلية،بيروت، لبنان ،ط1،2009.

فهرس

المحتويات

الفهـــــــــرس:

الملخـــــــــــــــــص

لقد شكل السجن هاجسا قويا لدى شعراء الأمة العربية ودفعهم إلى الغوض في غمار تجربة شعرية أسموها ، شعر السجون للتعبير عن وطنيتهم المسلوبة داخل السجن وخارجه ، كذلك هو الحال بالنسبة إلى شاعر فلسطين محمود درويش الذي ذاق مرارة السجن بكل أنواعه و إستطاع أن يصور وطنه في صور متعددة .

- الكلمات المفتاحية .

- مفهوم السجن .

- أنواع السجن .

- الحفريات التاريخية لشعر السجون .

- حضور الوطن في شعر السجون .

- تمثلات الوطن في شعر محمود درويش .

لقد شكل السجن هاجسا قويا لدى شعراء الأمة العربية ودفعهم إلى الخوض في غمار تجربة شعرية سميت بشعر السجون للتعبير عن الوطنية المقهورة والمسلوبة داخل وخارج السجون. كذلك هو الحال بالنسبة إلى شاعر فلسطين "محمود درويش" الذي ذاق مرارة السجن بكل أنواعه واستطاع أن يصور وطنه في صور متعددة.

الكلمات المفتاحية:

مفهوم السجن/أنواع السجن/الحفريات التاريخية لشعر السجون/حضور الوطن في شعر السجون/تمثلات الوطن في شعر "محمود درويش".